من جديد مجلس الأمن يفشل في تحديد موقف حول ما يجري في سورية

في الوقت الذي كان فيه المبعوث الدولي المعني بسورية ستيفان دي مستورا قد صرّح أن «آلاف السوريين قد يقتلون» كما أن «مناطق مثل شرق حلب قد تدمر بالكامل قبل نهاية العام، إذا لم يتم القيام بعمل عاجل لمعالجة الوضع الراهن في سوريا.

وتقدر الأمم المتحدة أن الصراع السوري قد أدى إلى تشريد أكثر من عشرة ملايين شخص خارج وداخل سوريا، ومقتل نحو مئتي ألف".

بدت الخلافات بين أعضاء مجلس الأمن الدولي هي سيدة الموقف في اجتماعه الأخير السبت ٨ أكتوبر/تشرين الأول، حيث لم يستطع المجلس اعتماد أحد مشروعي قرارين طرحا للتصويت، أحدهما مقدم من فرنسا وإسبانيا والآخر من روسيا.

مشروع القرار الفرنسي الإسباني حصل على تأييد ١١ عضوا، فيما عارضته روسيا، صاحبة حق الفيتو، وفنزويلا وامتنعت عن التصويت عليه الصين وأنغولا. أما المشروع الروسي فحظي بتأييد أربعة أعضاء، ومعارضة تسعة وامتناع عضوين عن التصويت.

واستخدمت روسيا حق النقض «الفيتو» ضد مشروع القرار الفرنسي الذي طالب بنهاية فورية للضربات الجوية وطلعات الطائرات الحربية فوق مدينة حلب السورية، فيما لم يتمكن مشروع القرار الروسي من الحصول على موافقة تسعة أعضاء في مجلس الأمن، وهو الحد الأدنى اللازم لإقراره.

وزير الخارجية الفرنسي جون مارك إيرو الذي حضر الجلسة قالك إن حلب قد تركت لجلاديها بدون أمل في الأفق لوقف القصف من قبل الحكومة وحلفائها. «ستصبح المدينة قريبا أطلالا، وستبقى في التاريخ باعتبارها مدينة ترك سكانها لجلاديهم. يتعين على مجلس الأمن الدولي أن يتخذ قرارا واضحا، وأن يطالب بالعمل الفوري من أجل إنقاذ حلب، وبوضع حد للقصف من قبل النظام وحلفائه.»

السفير الروسي فيتالي تشوركين وصف جلسة مجلس الأمن بأنها أحد أغرب المشاهد في تاريخ المجلس. وقال قبل التصويت: « سنصوت على مشروعي قرارين فيما نعلم جميعا جيدا أن أيا منهما لن يعتمد. بالنظر إلى أن الوضع وصل إلى مرحلة حرجة في سوريا، والحاجة إلى بذل جهود منسقة من المجتمع الدولي فإن إضاعة الوقت هذه غير مقبولة.»

وهذه هي المرة الخامسة التي تستخدم فيها روسيا حق النقض ضد قرار أممي بشأن سوريا أثناء الحرب التي مضى عليها أكثر من خمسة أعوام.

المحرر السياسي

المقامر الروسيّ

لم يعد أمام الروس خيارات متعدّدة في سورية، هاهم بعد سنة من تدخّلهم المعلن في سورية يجدون أنفسهم وقد غاصوا أكثر في مستنقع الحدث السوريّ، وشيئاً فشيئاً، يضيق خطّ العودة عليهم.

تردّد الروس كثيراً قبل الوصول إلى هذه الحالة، هم يعرفون مخاطر هذا الاستدراج، فطعم تجربة أفغانستان لا يزال مرًّا في فمهم، لكنّهم ومنذ أن اختاروا أن يقفوا مع النظام السوريّ بلا قيد أو شرط اختاروا في نفس الوقت مسار هزيمتهم معه.

لم يكن الأمريكيّون مترّددين أو خائفين من التدخّل الروسيّ، بالعكس فقد لعبوا بمهارة على تسهيله، و «تمسكنوا» وأبدوا من التردّد والضعف ما أغرى القيصر المنتفخ بالاندفاع إلى المستنقع السوريّ،

وكان السراب السوريّ خادعاً لهم طوال سنة، وكانوا في كلّ مرّة يشعرون بحماس أنّهم يقتربون أكثر من تحقيق هدفهم؛ لكن هل استطاعوا وخلال سنة أن يحقّقوا أيّ شيء ممّا أرادوه؟.

حتّى اليوم يبدو أنّ كلّ ماحقّقه الروس هو نقاط يمكن أن يخسروها بسرعة فائقة؛ اليوم، وبعد أن أطمأنّ الأميركان إلى أنّ الروس قد غاصوا جيِّدا في المستنقع السوريّ، فإنّهم سوف يبدؤون بالمرحلة الثانية، وهي استنزافهم تأسيساً لهزيمتهم، وإذا كانت أفغانستان قد تسبّبت في انهيار الاتّحاد السوفيتّي فإنّ سورية ستؤدّي إلى انهيار الحلم الروسيّ بالتحوّل إلى قوة كبرى.

لا تستطيع روسيا أن تتحمّل مواجهة طويلة، لا اقتصادها يسمح ولا الأرض التي تدخّلت بها سهلة الحسم، ولا أحد سيقبل أن تكون روسيا سيّدة في هذه المنطقة من العالم، يتوهّم الروس إنّ اعتقدوا أنّه سيُسمح لهم بأن يصبحوا اللاعب الأساسيّ في منطقة شديدة الحساسيّة كسورية.

يواجه الروس أيضاً عدا عن أمريكا وحلفائها معضلة أخرى تكمن في حلفائهم أنفسهم في سورية (النظام وإيران) وهم يدركون جيِّدا أنّهم وإن كانوا مضطرّين الآن للتحالف مع إيران إلّا أنّهم يدركون جيِّدا أنّ مواجهتم القادمة ستكون معها.

يجد الروس أنفسهم اليوم أمام خيار وحيد هو الانتصار بأسرع وقت ممكن، وإلّا فإنّهم سيواجهون نفس الورطة التي واجهوها في أفغانستان، يدرك الإيرانيّون هذا الأمر جيِّدا، وهم مستعدّون للمساهمة في تعقيدها بعد أن يقوم الروس بدورهم العسكريّ، وإذا كان الروس متفوّقين على الإيرانيّين بقدراتهم العسكريّة فإنّ الإيرانيّين يعملون على تغيير تركيبة الأرض ديموغرافيًّا وعلى صناعة الميليشيات المرتبطة بها، أمّا النظام السوريّ فلم يعد قادراً على فعل أيّ شيء، وهو كالبغي تماماً، يذهب إلى سرير من يطيل عمره أكثر.

إذا كانت خطّة الحلفاء (الروس والإيرانيّين والنظام) تتكثّف بسورية المفيدة التي تمتدّ من درعا والسويداء مروراً بدمشق وريفها وحمص وريفها أيضاً، وصولاً إلى الساحل السوريّ وحلب إن استطاعوا، وترك ما تبقّى للآخرين، فإنّ من يلعبون في الشأن السوريّ لن يتركوا لهم فرصة تحقيق هذا الأمر وتكريسه كأمر واقع.

الأتراك الذين يوافقون على جزء كبير من هذا السيناريو، لأنّه يتيح لهم منطقة نفوذ تمتدّ من حدودهم مع سورية بين الفرات شرقاً ولواء إسكندرون غرباً نزولاً إلى الرقّة ودير الزور وربّما أكثر ، فإنّهم يحاولون السكوت عن المشروع الروسيّ على أمل أن يتمكّنوا من محاصرة الجيب الذي يعتزم الأكراد اعتباره كيانهم المنفصل، ويتيح لهم أيضاً السيطرة على مناطق النفط في سورية، وهذا ما وعد به الروس الأتراك، لكنّهم لم ينتبهوا جيِّدا إلى الإيرانيّين، ولا إلى الأمريكيّين الذين تعدّدت قواعدهم العسكريّة في الشمال الشرقيّ من سورية.

في كلّ هذه المعمعة التي تعيشها سورية اليوم، يبدو السوريّون هم الخاسر الأكبر، وهم الذين سيظلّون أدوات تنفيذ لمشاريع الآخرين، وهزيمة الروس التي سعى لها الأميركيّون والأوربّيون في سورية سوف تزجّ بالوضع السوريّ في نفق حرب استنزاف طويلة، يدفع فيها السوريّون ما تبقّى من مقوّمات وجودهم كدولة أو كشعب.

بسّام يوسف

حوار مع المفكّر سلامة كيلة* (٢/١) ٤

جبل عبد العزيز و صراع الهويّة ٥

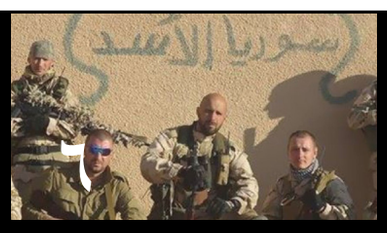
قــوّات الــدفــاع الــوطــنــيّ ٦

وداعا جهاد قصّاب ٩

فرقة بالميرا وحفل في سويسرا ١٢

حلب كنقطة لتركيز الهجوم الأكثر وحشيّة

هل سيبدأ النظام استعادة السيطرة على البلاد اعتباراً من حلب، وبمساندة تلك الميليشيات القادمة من بيروت وبغداد وطهران؟ أم أنّ أولئك القادمين من موسكو يبحثون عن انتصارات من نوع آخر؟

على مدى ما يقارب الأربعة أعوام، وعلى بقعة لا تزيد عن خمسة عشر كيلومتراً مربَّعاً، ما زال القسم الشرقيّ من مدينة حلب هدفاً متواصلاً للنيران الحارقة والهدن الفاشلة، وما زالت المعارك متلاحقة بكلّ صنوف الأسلحة، بدءاً من القنّاصات المنتشرة على خطوط التماس، وصولاً للصواريخ الارتجاجيّة المدمّرة لما هو تحت سطح الأرض، لتشهد في هذه الأيّام أعنف وأشرس حملة عسكريّة، تستهدف من تبقّى في تلك الأحياء، الممتدّة من صلاح الدين وبستان القصر إلى الصاخور والحيدريّة، حيث يتمّ تضييق الحصار على نحو ثلاثمائة ألف سوريّ، يترقّبون جحيم الموت القادم مع كلّ طلعة جوّيّة، ومنتظرين لمساعدات طبّيّة وغذائيّة لا يمكن أن تصل.

فهل سيبدأ النظام استعادة السيطرة على البلاد اعتباراً من حلب، وبمساندة تلك الميليشيات القادمة من بيروت وبغداد وطهران؟ أم أنّ أولئك القادمين من موسكو يبحثون عن انتصارات من نوع آخر؟.

قد يكون إشعال المزيد من النيران الخيار الوحيد لدى نظام الأسد، فعلى الرغم من كل الدعم القادم من عدّة أطراف خارجيّة، لم تحقّق له السنوات السابقة أيّ تقدّم مهمّ في استعادة سيطرته على البلاد، وعلى الرغم من كلّ المماحكات السياسيّة في مجلس الأمن ولقاءات جنيف، لن يحقّق الحلّ الدوليّ المتضمّن لحكم انتقالي، سوى مثوله أمام محكمة الجنايات الدوليّة، لكنّ ما تقوم به الإدارة الروسيّة بتنفيذها لهذه المهمّة في المناطق التي عجز ذلك النظام مع حلفائه الآخرين عن مجابهتها، يحمل الكثير من التفسيرات والتحليلات التي تزيد من تعقيدات المعضلة السوريّة، إذ سارعت القوّات الروسيّة للقصف بوحشيّة غير مسبوقة، معلنة نهاية الهدنة الأخيرة، ومشيرة إلى صعوبة أو استحالة الحلّ السياسيّ، ومصرّة بعد عام كامل من تدخّلها العسكريّ المباشر على تعزيز ذلك التدخّل، الذي ينظر إليه البعض كمزيد من الانزلاق في المستنقع السوريّ، والذي لا يمثّل في الواقع سوى خدمة للمصالح الروسيّة الخاصّة، بغضّ النظر عن تمثيله دوراً مهمًّا في دعم بقاء الأسد.

في حين أنّ الجانب الأمريكيّ وقف عاجزاً عن الردّ، مكتفياً بالتنديد، وبالتعبير عن حيرته فيما يجب الردّ به، مستمرًّا في دوره، الذي يراه البعض متردِّدا، والذي ينظر البعض الآخر إليه كإدارة للصراع الدائر على سورية، كموقف لم ولن يخرج عن خدمة المصالح الأمريكيّة وفي منطقة الخليج بخاصّة، وكموقف قد يضطرّ معه لتوجيه ضربات عسكريّة لأيّ طرف يتسبّب في الإضرار بها.

لا شكّ بأنّ لتلك المعارك المحتدمة حول حلب أهمّيّتها الخاصّة، إلى حدود التغيير الجذريّ في مسار الحرب السوريّة، سواء باتّجاه الحسم العسكريّ أو الرضوخ لحلّ سياسيّ، أكثر ممّا قد يكون سعياً نحو فرض حالة تقسيم جرى الحديث عنها كثيراً؛

فالنظام السوريّ الساعي لإحكام قبضته من دمشق إلى حمص إلى اللاذقيّة، بتطبيق الحصارات الخانقة على التجمّعات السكنيّة الخارجة عن سيطرته في هذا الشريط الجغرافيّ، وبتهديد قاطنيها بالإبادة الجماعيّة بغية ترحيلهم لمناطق أخرى، تشكّل تغييرات ديموغرافيّة ملحوظة لصالح عمليّة التقسيم المفترضة، كما حصل ويحصل في داريّا والوعر وقدسيّا، وكما قد يحصل لاحقاً في تجمّعات أخرى.

لكنّ ما يقوم به النظام وداعميه من معارك طاحنة في مناطق أبعد، وفي حلب على وجه الخصوص، تهدف إلى ما هو أبعد من التقسيم، وإلى ما هو مختلف عن الرؤية المتعلّقة بسورية المفيدة وسورية الضارّة، فالانتصارات التي يسعى إليها النظام في منطقة كحلب، قد توهّم البعض بالعودة المحتّمة لسلطة النظام الأسديّ، لكنّها لن تخلق في الواقع سوى مزيداً من التعقيد في الشأن السوريّ، إذ أنّ السوريّ الذي حمل السلاح مدافعاً عن أهله وذويه، ويواجه اليوم أبشع قصف عشوائيّ يستهدف التدمير الأكبر والتهجير الأوسع، لا يمكن مقارنته أبداً بالمحتل الأجنبيّ الذي يستخدم المدنيّين كدروع بشريّة، وبما أنّ السوريّين وبأكثر ممّن نصف تعدادهم الكلّيّ قد تحوّلوا إلى نازحين ولاجئين، لا يمكن نزع هويّتهم السوريّة والنظر إليهم كإرهابيّين أو كحواضن إرهابيّة.

إنّ التركيز الحاصل اليوم، بالهجوم الأكثر وحشيّة على أحياء حلب الشرقيّة، يخلف أبشع صور الجريمة بحقّ الإنسانيّة، تلك الصور التي تتلاحق مشاهدها المروّعة في كلّ يوم، والتي تمتد لتشمل العديد من المناطق السوريّة، ملهبة المشاعر الأخلاقيّة في كلّ المجتمعات البشريّة، التي يجري التعبير عنها في أكثر من مكان من هذا العالم، لا يبدو التوصّل إلى وقفها ممكناً رغم كلّ الجهود المبذولة من أجل ذلك، لأسباب أصبحت واضحة، ولا يمكن أن تكون غير تلك الأسباب المتعلّقة بطبيعة القوى المشاركة في تنفيذ تلك الجرائم، وأنّ هذه الحرب كشفت عن تخلّف بنى المجتمع العربيّ ووعيه المتأخّر، ودعت بذات الوقت وبشكل نخبويّ لتوعية المجتمع بوعي تاريخيّ مطابق يتجاوز البنى المجتمعيّة المتأخّرة لتحقيق أهداف الأمّة.

ما يهمّنا، هو أن نراجع قليلاً كيفيّة تعامل ذات العقل بشقّيه الحاكم والمعارض لقضيّة الحرّيّة والاستبداد والسلطة.

مع أولى صيحات المتظاهرين في دمشق ودرعا، التي سرعان ما انتشرت في مختلف الجغرافيّة السوريّة، تلك الصرخات كانت بالأساس احتجاجاً ورفضاً لبنية الاستبداد التسلّطي الذي يستبيح البلاد وما فيها، فمستوى الذلّ والإهانة التي عُومل بها أطفال درعا وذووهم كان الدافع لشرارة الثورة، أي كردّ فعل ورفض لتركيبة تسلّطية عنيفة طائفيّة تمييزيّة تستهين بكلّ كرامات ومشاعر ومصالح الناس، أي أنّ بنيتها بمستويات متعدّدة، ووجهتها واحدة: تحقيق الخضوع وخلق رعايا لا مواطنين.

كان منطق وخطاب السلطة ممثَّلا برأسها في نهاية آذار من العام ذاته واضحاً، التمسّك والتمترس بالسلطة بشكل مطلق كأداة إخضاع ووسيلة جني الثروة، كما كان خطاباً منسجماً مع النظريّة الانقلابيّة للبعث التي تعتبر الوصول للسلطة وبأيّ وسيلة الهدف الرئيسيّ لها.

لم تدرك الأحزاب السياسيّة والمصنّفة بـ«المعارضة» عمق الصيحات ومداها، رغم أنّها أو أكثرها قد عانى الكثير من ممارسات الإخضاع والقهر، فبدت مرتبكة وغير حاسمة في تعاملها مع الحدث، كفعل تغييري كبير، فرغم التخلّي «المعلن» عن أيدلوجيّتها التي تربّت على مفاهيمها تعتمد في دورها على كونها الطليعة أو الصفوة أو النخبة التي «قدّر» لها أو من صفاتها التكوينيّة أن تكون قائدة للقاعدة التي تعتمدها، رغم ذلك، لكنّ التجربة بيّنت أنّها ما زالت أسيرة لجذورها الأمّ، فطرحت نفسها مباشرة كطرف «ثالث» ناصح وموجه أيّ قياديّ، وعيناها تتوجّه مباشرة نحو السلطة كوسيلة للتغيير و«البناء».

زاد من شدّة تصوّراتها ما حدث في ليبيا عندما استجاب مجلس الأمن بعد طلب المندوب الليبيّ في الأمم المتّحدة ومن ثمّ جامعة الدول العربيّة للتدخّل وإزاحة القذافي عسكرياً، فكانت المراهنة على التدخّل الغربيّ لحسم الأمر والإطاحة بنظام الأسد، لدرجة أنّ مناشدة الجامعة العربيّة والأمم المتّحدة للإطاحة بالنظام المجرم الذي يرتكب المجازر، صارت المطلب السياسيّ الوحيد.

من ناحية ثانية، ومع زيادة عنف أجهزة النظام من اعتقال وتعذيب وقتل يوميّ والدخول بحالة العسكرة، التي كان مبرّرها الوحيد أنّها ردّة فعل تجاه القمع ولحماية المتظاهرين، ولم تكن خياراً، وما رافقها من تشكيل كتائب وفصائل عسكريّة عفوية، سرعان ما التقطها الرعاة المحلّيّون والإقليميّون كوسيلة لاستملاك وإخضاع الثوّار و«خندقتهم» كما يريدون، فالمال يوجّه، وتأتي الأيديولوجيا للتعليب والتغليف ليس أكثر.

كانت معظم الكتائب بتركيبتها الاجتماعيّة من الفئات الريفيّة ومن أحزمة الفقر المهمّشة حول المدن، استطاعت أن تلبسها الدول الداعمة وقمع النظام المفرط لباساً أيديولوجيًّا إسلاميًّا، سرعان ما تنامى جزء منها نحو التطرّف، فأسّست هيكليّة تعتمد في قليل منها على الأصول وأكثر على التطلّع نحو السلطة والنفوذ، فكان الأمير والشرعيّ والمسؤول الأمنيّ والقائد العامّ، وكلّها تشير بشكل ما إلى الازدواجيّة في العقليّة، ممّا شكّل جزراً متناثرة ومتجاورة أحياناً من المقاتلين، لا يجمعها رابط وخطّة في القتال ضدّ قوّات النظام، كما أنّ فكرة الحصول على الغنائم، والاعتماد على الشرعيّين شكّلا عنصرين مفرّقين، رغم بيانات المطالبة بالتوحيد والتقارب من الجميع (صار موعد الآذان والسحور مختلفاً ومجالاً للفتاوى)، ممّا أفقدها أيضاً تقديم نموذج أخلاقيّ بديل ومتفوّق على نموذج النظام المتهالك، لكن يبدو أنّ النوايا لا تصنع الحدث بقدر ما المصالح الخاصّة ومصالح الداعمين.

ضمن تلك الوقائع، تراجعت كثيراً قيم الحرّيّة المناهضة للاستبداد، وصار الكثير من الفصائل وقادتهم وشرعييهم يمارسون عمليّات الاعتقال والتعذيب والخطف بحقّ الناشطين والمختلفين، أي الغير قابلين للخضوع، كما صار المثل الأعلى «للقادة» هو ضبّاط الأمن تحديداً بسلوكهم ومظاهر الحماية والسيّارات وغيرها، إضافة للخطاب المعادي صراحة لقيم الحرّيّة التي صرخ من أجلها السوريّون ومات واعتقل من أجلها الكثيرون.

شكّل سعي المعارضة نحو السلطة الموقف نقطة ضعف ومقتل، فتغاضيها عن عمليّات الخطف والاعتقال والتعذيب التي مارستها عدّة فصائل إسلاميّة، وسعيها لاسترضاء القادة العسكريّين بوسائل فاسدة طمعاً في الحظوة وتقاسم الكعكة الموعودة، جعلها غير قادرة على تأسيس خطاب تحرّريّ مناهض للاستبداد، فمناهضة الاستبداد والتسلّط تتطلّب الوضوح والانحياز الكامل لقضايا الحرّيّة والمساواة، كما التخلّص من وهم السلطة بما تفرضه من ارتهان وخضوع لمصالح واملاءات غالبها يتنافى مع المصلحة الوطنيّة ومع قيم الحرّيّة، وهذا ما ينبغي على الجميع من قوى وطنيّة وديمقراطيّة ومثقّفين وشخصيّات وطنيّة العمل عليه بغاية خلق تيّار تحرّري مناهض للاستبداد المتمثّل أوّلا في النظام التسلّطيّ، وفي الحركات المتطرّفة ثانياً، بدلاً من اللهاث وراء الأوهام الخارجيّة للوصول للسلطة، الخيار الذي كلّف السوريّين كثيراً من الموت والتدمير والتشريد.

**عنوان المادّة الأصليّ:

How Syria can escape Assad's reign of terror

ترجمة: بتول عيسى

دلالة السلطة في الفكر السياسيّ السوريّ

بعد ٤٩ عاماً مضت على حرب حزيران ١٩٦٧ والمعروفة بحرب الأيّام الستّة، كونها لم تدم طويلاً ربّما ثلاثة أيّام حقّقت فيها إسرائيل نصراً تاريخيّاً على عدّة دول عربيّة محوريّة (مصر وسورية والأردن وفلسطين) والتي شكّلت بنتائجها الكارثيّة نقطة مفصليّة في تاريخ المنطقة، فصار يؤرّخ ما قبلها وما بعدها، فعدا عن احتلال الأراضي في أربع دول، شكّلت هزيمة مدوّية للحكومات، كما للمجتمعات العربيّة ولنخبها، وفق كثير من المفكّرين والسياسيّين في وقتها.

بعد انتهاء الحرب / الهزيمة الفاجعة خرج الإعلام «الثوريّ» للأنظمة ليعلن النصر وببساطة لأنّ الهدف من الحرب كان إسقاط الأنظمة «الثوريّة» في كلّ من مصر وسوريّة، وهذا ما لم يتحقّق!

بالطبع، يعكس هذا المنطق خلاصة العقليّة السائدة في الفكر السياسيّ السوريّ الذي يعطي أهميّة محوريّة لدور السلطة وقدراتها الخارقة في تطويع الجميع، ووسيلة ناجعة لجني الثروة من جهة، ومن جهة أخرى يسخر من دور الإنسان الفرد كذات حرّة لها حقوقها وقيمها، فالسلطة بيد الحزب «الثوريّ» ولجنته العسكريّة كطليعة المجتمع بل كبديل للمجتمع، وقيادتها الملهمة المسخّرة لمواجهة الإمبرياليّة وربيبتها الصهيونيّة، هذه السلطة ما زالت على عروشها وتمارس دورها «الطليعيّ» الذي وفّرته لها الطبيعة، وبالتالي فقد ربحت المعركة ضد من احتلّ الأرض وهجر البشر.

من الطرف الآخر، النخب السياسيّة والأحزاب السياسيّة، وكلها ذات طبيعة واحدة أيدلوجيّة تقدّس دور الطليعة والقائد بغضّ النظر عن التلوينات، اختلفت على درجة الهزيمة، ومنها من دعم الرأي السلطويّ ودافع عن بقاء الأنظمة الثوريّة خاصّة كونها صديقة الاتحاد السوفياتي، وأن هذه النظم لم تضع البوصلة، بوصلة الموقف من الإمبرياليّة، والصداقة مع المعسكر الاشتراكيّ وعلى رأسه الاتّحاد السوفياتي.

قلّة من المفكّرين السوريّين اعتبروا ما حدث هزيمة كبرى للمجتمعات العربيّة، وأنّ هذه الحرب كشفت عن تخلّف بنى المجتمع العربيّ ووعيه المتأخّر، ودعت بذات الوقت وبشكل نخبويّ لتوعية المجتمع بوعي تاريخيّ مطابق يتجاوز البنى المجتمعيّة المتأخّرة لتحقيق أهداف الأمّة.

ما يهمّنا، هو أن نراجع قليلاً كيفيّة تعامل ذات العقل بشقّيه الحاكم والمعارض لقضيّة الحرّيّة والاستبداد والسلطة.

مع أولى صيحات المتظاهرين في دمشق ودرعا، التي سرعان ما انتشرت في مختلف الجغرافيّة السوريّة، تلك الصرخات كانت بالأساس احتجاجاً ورفضاً لبنية الاستبداد التسلّطي الذي يستبيح البلاد وما فيها، فمستوى الذلّ والإهانة التي عُومل بها أطفال درعا وذووهم كان الدافع لشرارة الثورة، أي كردّ فعل ورفض لتركيبة تسلّطية عنيفة طائفيّة تمييزيّة تستهين بكلّ كرامات ومشاعر ومصالح الناس، أي أنّ بنيتها بمستويات متعدّدة، ووجهتها واحدة: تحقيق الخضوع وخلق رعايا لا مواطنين.

كان منطق وخطاب السلطة ممثَّلا برأسها في نهاية آذار من العام ذاته واضحاً، التمسّك والتمترس بالسلطة بشكل مطلق كأداة إخضاع ووسيلة جني الثروة، كما كان خطاباً منسجماً مع النظريّة الانقلابيّة للبعث التي تعتبر الوصول للسلطة وبأيّ وسيلة الهدف الرئيسيّ لها.

لم تدرك الأحزاب السياسيّة والمصنّفة بـ«المعارضة» عمق الصيحات ومداها، رغم أنّها أو أكثرها قد عانى الكثير من ممارسات الإخضاع والقهر، فبدت مرتبكة وغير حاسمة في تعاملها مع الحدث، كفعل تغييري كبير، فرغم التخلّي «المعلن» عن أيدلوجيّتها التي تربّت على مفاهيمها تعتمد في دورها على كونها الطليعة أو الصفوة أو النخبة التي «قدّر» لها أو من صفاتها التكوينيّة أن تكون قائدة للقاعدة التي تعتمدها، رغم ذلك، لكنّ التجربة بيّنت أنّها ما زالت أسيرة لجذورها الأمّ، فطرحت نفسها مباشرة كطرف «ثالث» ناصح وموجه أيّ قياديّ، وعيناها تتوجّه مباشرة نحو السلطة كوسيلة للتغيير و«البناء».

زاد من شدّة تصوّراتها ما حدث في ليبيا عندما استجاب مجلس الأمن بعد طلب المندوب الليبيّ في الأمم المتّحدة ومن ثمّ جامعة الدول العربيّة للتدخّل وإزاحة القذافي عسكرياً، فكانت المراهنة على التدخّل الغربيّ لحسم الأمر والإطاحة بنظام الأسد، لدرجة أنّ مناشدة الجامعة العربيّة والأمم المتّحدة للإطاحة بالنظام المجرم الذي يرتكب المجازر، صارت المطلب السياسيّ الوحيد.

من ناحية ثانية، ومع زيادة عنف أجهزة النظام من اعتقال وتعذيب وقتل يوميّ والدخول بحالة العسكرة، التي كان مبرّرها الوحيد أنّها ردّة فعل تجاه القمع ولحماية المتظاهرين، ولم تكن خياراً، وما رافقها من تشكيل كتائب وفصائل عسكريّة عفوية، سرعان ما التقطها الرعاة المحلّيّون والإقليميّون كوسيلة لاستملاك وإخضاع الثوّار و«خندقتهم» كما يريدون، فالمال يوجّه، وتأتي الأيديولوجيا للتعليب والتغليف ليس أكثر.

كانت معظم الكتائب بتركيبتها الاجتماعيّة من الفئات الريفيّة ومن أحزمة الفقر المهمّشة حول المدن، استطاعت أن تلبسها الدول الداعمة وقمع النظام المفرط لباساً أيديولوجيًّا إسلاميًّا، سرعان ما تنامى جزء منها نحو التطرّف، فأسّست هيكليّة تعتمد في قليل منها على الأصول وأكثر على التطلّع نحو السلطة والنفوذ، فكان الأمير والشرعيّ والمسؤول الأمنيّ والقائد العامّ، وكلّها تشير بشكل ما إلى الازدواجيّة في العقليّة، ممّا شكّل جزراً متناثرة ومتجاورة أحياناً من المقاتلين، لا يجمعها رابط وخطّة في القتال ضدّ قوّات النظام، كما أنّ فكرة الحصول على الغنائم، والاعتماد على الشرعيّين شكّلا عنصرين مفرّقين، رغم بيانات المطالبة بالتوحيد والتقارب من الجميع (صار موعد الآذان والسحور مختلفاً ومجالاً للفتاوى)، ممّا أفقدها أيضاً تقديم نموذج أخلاقيّ بديل ومتفوّق على نموذج النظام المتهالك، لكن يبدو أنّ النوايا لا تصنع الحدث بقدر ما المصالح الخاصّة ومصالح الداعمين.

ضمن تلك الوقائع، تراجعت كثيراً قيم الحرّيّة المناهضة للاستبداد، وصار الكثير من الفصائل وقادتهم وشرعييهم يمارسون عمليّات الاعتقال والتعذيب والخطف بحقّ الناشطين والمختلفين، أي الغير قابلين للخضوع، كما صار المثل الأعلى «للقادة» هو ضبّاط الأمن تحديداً بسلوكهم ومظاهر الحماية والسيّارات وغيرها، إضافة للخطاب المعادي صراحة لقيم الحرّيّة التي صرخ من أجلها السوريّون ومات واعتقل من أجلها الكثيرون.

شكّل سعي المعارضة نحو السلطة الموقف نقطة ضعف ومقتل، فتغاضيها عن عمليّات الخطف والاعتقال والتعذيب التي مارستها عدّة فصائل إسلاميّة، وسعيها لاسترضاء القادة العسكريّين بوسائل فاسدة طمعاً في الحظوة وتقاسم الكعكة الموعودة، جعلها غير قادرة على تأسيس خطاب تحرّريّ مناهض للاستبداد، فمناهضة الاستبداد والتسلّط تتطلّب الوضوح والانحياز الكامل لقضايا الحرّيّة والمساواة، كما التخلّص من وهم السلطة بما تفرضه من ارتهان وخضوع لمصالح واملاءات غالبها يتنافى مع المصلحة الوطنيّة ومع قيم الحرّيّة، وهذا ما ينبغي على الجميع من قوى وطنيّة وديمقراطيّة ومثقّفين وشخصيّات وطنيّة العمل عليه بغاية خلق تيّار تحرّري مناهض للاستبداد المتمثّل أوّلا في النظام التسلّطيّ، وفي الحركات المتطرّفة ثانياً، بدلاً من اللهاث وراء الأوهام الخارجيّة للوصول للسلطة، الخيار الذي كلّف السوريّين كثيراً من الموت والتدمير والتشريد.

**عنوان المادّة الأصليّ:

How Syria can escape Assad's reign of terror

ترجمة: بتول عيسى

مثالية الإلحاد

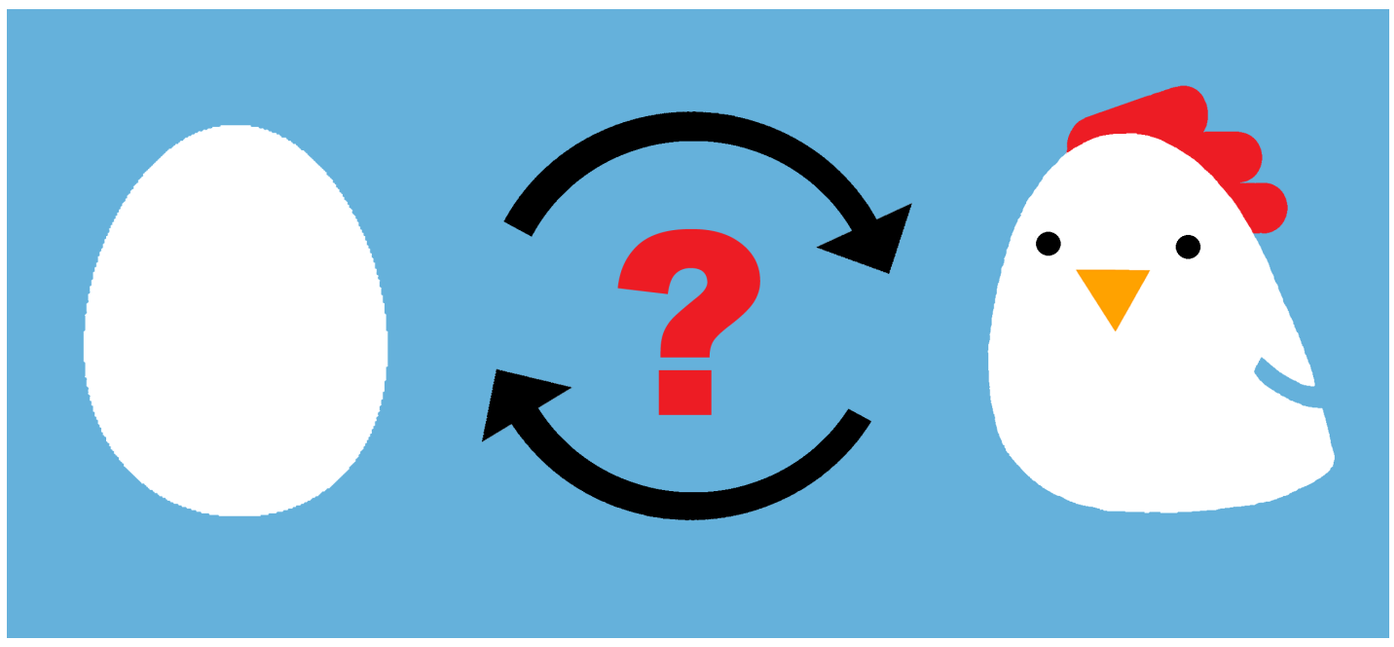

فمن الأخطاء الشائعة في الثقافات العالمية، هو تلك النظرة القاصرة والمغلوطة اتجاه الإلحاد والملحدين.

وتتجلى تلك النظرة بشكل متوحش في المناطق التي يسود فيها الفكر الشمولي بصياغتيه (الديني والسياسي)، فيصبح الملحد عرضة لكل توجسات الآخر الذي يشعر باهتزاز إيمانه الناشئ عن الفكر الغيبي.

ويُوصف الإلحاد في الثقافات الشعبية بأشكال خاطئة، فيتم التعاطي معه باعتباره منهج تفكير، كما يرى الآخر الذي يخضع لاعتبارات ميثاقية، فيُسقط الآخر ألية تفكيره على ما سواه، على الرغم أن الإلحاد هو نظرة فردية اتجاه تفسير العالم والفكر، ولا يخضع لأي موازنات إيديولوجية أو ميثاقية شاملة.

بدايةً يجب توضيح أمر مهم، وهو أنّ الملحدين يُشكّلون ما يقارب المليار ونصف إنسان في العالم، فهم ليسو شرذمة كما يحاول الأيمانيين وصفهم، أي أنهم أغلبية ساحقة وفي الترتيب الثالث بعد المسيحيين أولاً والمسلمين ثانياً، مع فارق جوهري، وهو أن الترتيب الأول والثاني لديانتين شاسعتين، تقومان على إيديولوجيا شمولية مسطّرة بقانون ينظم القطيع الفكري ويجره باتجاه واحد وهدف واحد سماوي، أما بالنسبة للملحدين فالامر مختلف كلياً.

الإلحاد ليس منهج

يظن الكثير من البشر أن الإلحاد هو منهج يُخضع تحت رايته الإنسان بعهود فكرية عامة، أو بيانات يجب على الجميع الإلتزام بها، حتى أن بعض الجهل يستشري بالعقل ليصل الأمر إلى شكل تفسير أكثر تخلفاً، فيوصف بأنه دين ما أو وثنية أو إشراك بإله الموحدين. تلك الآلية في التعاطي مع الفكر، تنبع من عدم قدرة فهم المؤمنين للإلحاد سوى كصورة مشابهة للفكر الذي يتبناه المؤمنون.

(فالفكر الإيماني بطبيعته لا يستطيع تصور أن هناك بشر لا يؤمنون بقوة خفيّة تُسيّر حياتهم) وهذا ينبع بالطبع من رغبة بشرية أصيلة وهي عدم المعرفة المجردة. فالإلحاد ليس سوى موقف شخصي وفرداني من مجموع الأسئلة المطروحة على الإنسان منذ بداية الحياة، أسئلة تتعلق بوجود الإنسان وماهيته، ومحاولة تفسيرها بطريقة أعمق من التسليم لغيبيات قدرية. فليس هناك قوائم محددة أو تشريعات أو سنن يجب على الملحد اتباعها مثلما يوجد في الديانات السماوية والأرضية، فلا وجود لنبي أو كتاب للملحدين لقيادتهم تحت راية ما، وعلى هذا يكون الإلحاد هو علاقة فردية وعقلية للإنسان مع العالم الخارجي وتفسيره بإطار حر وليس بحسب رؤيا أناس معينين أو آراء وُصِفت بالآلهة لدى المعددين أو الموحدين.

ذلك الأمر يجعل الإلحاد يخرج من عباءة التسليم للقدر والبحث عن صناعة حياة بشرية مثالية دون انتظار الوعود الإلهية، ذلك الوعي الحر للإلحاد يجعل القوى السياسية والدينية التي تسعى للسيطرة على البشر واستغلالهم عن طريق التخلف والوعود الوردية بحياة آخروية، مثار لحقد جميع الأفكار الشمولية عليه، ومحاربته بكل قوة والقضاء عليه.

لأنه يشكل تهديداً للسلطة الاقتصادية التي يتحكم بها قدر صغير من البشر.

وتصبح الحرب على الإلحاد بطرق عديدة ومن أشهرها، حرب الانحلال الأخلاقي.

الإلحاد ليس انحلالاً أخلاقياً

عندما نتحدث عن الانحلال الأخلاقي، فلا نقصد فقط الجنس، بل هو مجموع السلوكيات المرتبطة باللصوصية والاستغلال والقتل وعدم احترام حياة البشر والعنصرية والتعصب.. ألخ.

إنّ الميزة الأولى للإلحاد هي الاعتراف بحياة البشر واحترامها، ذلك الوعي الناشئ بقبول الجميع دون استثناء، ودون الوقوف على مظاهر القومية والدين والطائفة. ذلك الأمر يجعل من الإلحاد صورة مثالية للسلم. إنّ جميع حروب العالم قامت باسم الله، لأنّ جميع الأطراف ترى أنها الحق وأنها تطبق شرع الله على الأرض، تلك الشمولية القطيعية التي تغيب العقل وتجعله مثاراً للسخرية والدموية. حروب قامت على اللون والطائفة والاستعباد.

أمام ذلك الواقع الدموي، يقف الإلحاد موقف الساعي لإنشاء حياة مسالمة بين الجميع. ذلك الموقف الذي يجعل من القوى المسيطرة أن تعمل لزيادة الجهل في البشر وتسعى لمحاربة الملحدين على أنهم الأكثر خطراً على الله، رغم أنّ الله ليس بحاجة من يدافع عنه. فيوصم الملحدون بأنهم الفئة التي لا تُحرّم بين الام والزوجة والأخت، رغم أنّ المثالية وعدم ارتفاع الحيوانية السلوكية التي تتوفر لدى الملحد، هي من تجعله شخصاً أكثر أخلاقية من المؤمن الذي يأخذ حيوانيته السلوكية في القتل والاغتصاب والسبي لكل آخر يخالفه، تحت بند التشريع اللاهوتي.

إنّ الرادع الإنساني لدى الملحد (وليس الخوف من العقاب) هو ما يجعل الإلحاد أكثر مثالية من التشريعات والسنن القائمة على التخويف والترهيب، ذلك الرادع النابع من إحترام البشر وحيواتهم.

الإلحاد العدو الأول للشمولية السياسية

قد يخرج بعض المتذاكين السياسيين الإيمانيين، لوصف الإلحاد بجهة سياسية أو ديكتاتورية ما، وذلك أمر شائع لكنه ليس دقيق، فالإلحاد مثلما قلنا بداية هو طريقة تفسير للعالم بشكل فردي وليس منهج سياسي أو ديني.

فوجود ديكتاتور ملحد، لا يعني أن جميع الملحدين ديكتاتوريين، تماماً مثلما يعني وجود قوة دينية دموية أن جميع المتدينين عنيفين.

فأي سلطة ما يهمها فعلياً هو ما يحققه الأخر الصامت لها، إن كان ملحداً أم إيمانياً، إن كان من ذات الطائفة أو القومية أو الدين، أو غيرهم. لكن ما يجعل الأمر سيئاً حقاً، هو أنّ عدم قدرة التسليم للملحدين بالقدر والرضا التشريعي بالعبودية هو ما يجعلهم عرضة البطش من قِبل جميع القوى السياسية والدينية.

إنّ النزعة الفردية للأشخاص الملحدين ومحاولة تفسيرهم للعالم الخارجي بإطار عقلي مستقل، يخلق منهم أشخاصاً غير منتمين إلى إيديولوجيا محددة أو منهج يقوم على تسيير البشر وفق رؤيا واحدة، هذه الحرية بالتفكير تؤدي بشكل طبيعي نحو التركيز على مثالية الحياة والسعي لصناعتها دون انتظار الغيبيات، وتجعلهم في الموقف العقلاني للسلم البعيد عن التعصب والحروب.

علي الأعرج

يقظة العقل

بينما كان كولن ولسون يقرأ دراسة تحليليّة لأوبرا (تيلا) التي هي من أولى أعمال المؤلّف الموسيقيّ الإيطاليّ فيردي والذي يُعتبر من أبرز مؤلفي الأوبرا في القرن التاسع عشر وجد كولن ولسون إشارة إلى سمفونيّة (السيّدة والمجنون) وهي من أولى أوبرات فيردي أيضاً، والغريب أنّ هذه الأسطوانة كانت موجودة على أحد رفوف كولن ولم يكن يعرف من قبل أنّه يملكها، واكتشف أنّ هذه السمفونيّة من إعداد (جون كرانكو) وتشير الدراسة أيضاً أنّ أكثر سمفونيّات كرانكو انتشاراً هي سمفونية (رأس الأناناس).

في تمام الساعة الثامنة والنصف مساءً، أراد كولن ولسون أنْ يستمع لبرنامج إذاعيّ مواظب على سماعه، فتح المذياع وأدار الموجة على موجة غير الموجة التي كان يريدها، فاستوقفه صوت المذيع الذي أعلن عن وفاة جون كرانكو. ويشير كولن في كتابه (الحاسّة السادسة)

إلى أنّ اللا منتميين لديهم قدرة فائقة على الإحساس بما سيحدث أو أنّه يحدث بطريقة أو بأخرى، وأنّ حالات الإحباط والكآبة تلعب دوراً مهمًّا في حالة التنبّؤ والحدس.

في الليلة الثالثة من حزيران ٢٠١٦، كنتُ حزيناً و مكتئباً، وبين حالتي الصحو والوسن، فتحتُ اليويتوب على مباريات و لقاءات البطل العالميّ بالملاكمة (محمّد علي كلاي) ولقد نمتُ وتركتُ اليويتوب إلى أنْ نفد الشحن منه، استيقظت في الصباح على خبر وفاة كلاي، ولا أعرف إنْ كان قد مات في حينها أم في الصباح، حدث هذا مثلما قال ألبير كامو في روايته الشهيرة (الغريب) حين افتتح روايته «ماتت أمي اليوم، وربّما في الأمس، لا أدري».

إلى الآن، لم تُكتشف الطاقة التي يملكها الإنسان، سواء كانت جسديّة أم نفسيّة، فيذكر سارتر أنّه لم يشعر بحرّيّة وطاقة كما التي شعر بهما أثناء الحرب عندما كان في حركة المقاومة وشعوره الدائم بأنّه قد يُعتقل أو يموت في أيّة لحظة، ومن هذا المنطلق يتحدّث كارجييف عن منهج ضبط النفس صاحب عبارة «لو قارنّا ما يجب أنْ نكون عليه لوجدنا أنفسنا نائمين».

وعبارة كارجييف تذكّرني بعبارة جاءت على لسان شخصيّة بديع الزاهر في رواية لي « كن كالنعسان و إياك أنْ تنام» وما أقصده هو أنّ للإنسان طاقة تفوق الطاقة التي هو عليها ظاهريًّا، و يتوجّب على المرء أنْ يخفّف هذه الطاقة كي لا يذهب الأمر به إلى طرق حالكة بالنور والضياء والحدس الذي قد يفوق مجريات الواقع الذي هو عليه، سيّما وأنّ هذه الصفة تحتاج لبيئة خاصّة، أو عزلة، كي لا يحدث نفور بين الصفة وما يحيط بهذه الصفة.

وقد أشار كولن ولسون في كتاب آخر (الإنسان وقواه الخفيّة) إلى مسألة القدرة، حين تحدث عن رجل أصيب بجرح بليغ في رأسه بعد سقوطه من على السلم، استيقظ هذا الرجل في المشفى بعد غيبوبة، وبعدها أصبح قادراً على قراءة أفكار الناس ومعرفة مستقبلهم.

وهذا الأمر جاء ذكره في حوادث دينيّة، ومعجزات وكرامات تتعلّق بالرؤيا والمعرفة والحدس، وكذلك جاء في الأدب القديم، والأساطير، وعلى رأسها النبوءة المتعلّقة بأوديب وما جرى له على إثرها.

راهيم حسّاوي

نوبل بين الدفاع المدنيّ ومانويل سانتوس والأسد

كشعب متطلّع للأمل والحياة عشنا كسوريّين طوال الأيّام الأولى من شهر تشرين الأوّل على حلم جائزة نوبل للسلام, وعملنا بقدر ما يمكننا على دعم ترشيح فرق الدفاع المدنيّ السوريّ « الخوذات البيضاء» ليكونوا أصحاب السبق في هذا المجال ويكون التكريم أقلّ ما يقدّم لهم مكافأة على إنقاذ أكثر من ٦٠ ألف روح كانت ستزهق تحت آلة الموت التابعة للنظام السوريّ وحلفائه.

الجائزة الممنوحة من مؤسّسة الفريد نوبل الكيميائيّ السويديّ الشهير، مخترع إحدى آلات الموت المعروفة وهي «الديناميت» ، تمنح سنويًّا في عدّة مجالات أهمّها الكيمياء والآداب والسلام وقد أوصى العالم الراحل بهذه الجائزة باسمه للمبدعين على قيد الحياة فقط؛ اعترافاً منه بخطئه باختراع سلاح مميت, بعد أن نشرت صحيفة فرنسيّة نعياً له عن طريق الخطأ تحت عنوان « تاجر الموت ميت «

وقالت الصحيفة إنّ «الدكتور الذي جمع المال من اختراع طرق لزيادة الموت قد مات» ليكون ذلك سبباً لمنح جائزة السلام بحسب بعض التحليلات.

نوبل، ومع أنّها جاءت تكفيراً عن جريمة إلّا أنّها مُنحت تاريخيًّا للعديد من المجرمين, كما أنّها أنصفت الكثير من العلماء والأبطال والثوار, ومرشّحو الجائزة هذا العام كان بينهم كلٌ من سبق ذكرهم، فعلى صعيد السلام مثلاً كان مرشّحا إلى جانب الدفاع المدنيّ السوريّ كلّ من الرئيس الكولومبيّ مانويل سانتوس، المستشارة الألمانيّة «أنغيلا ميركل»، وعلى صعيد الآداب الحقل الوحيد المؤجّل الإعلان عن فائزه، يقبع شخص مثير للجدل «علي أحمد سعيد إسبر» المعروف (أدونيس) في المركز الثاني كالأقوى ترشيحاً.

لا تُمنح نوبل على أسس واضحة, والثابت الحقيقيّ في الجائزة أنّها تمنح للأحياء فقط, كما يُجمع العديد من الناس على أنّها مسيسة ، في نسخة هذا العام تابعنا بحماس وصوتنا للدفاع المدنيّ السوريّ من باب الإيمان بالرسالة والثورة، لكنّ الفوز كان للرئيس الكولومبيّ مانويل سانتوس، وكان المبرّر إسهامه بإنهاء الحرب الأهليّة في بلده. مع العلم أنّ مبادرته رفضها الشعب الكولومبيّ بالتصويت.

وسائل الإعلام العربيّة والغربيّة وصفت سانتوس بالغريب، فصاحب تقدير السلام لهذا العام جنرال سابق يقال عن تورّطه في إنشاء عدّة «ميليشات» وهو ابن أسرة متنفّذة سياسيًّا في بلاده, مشروعه في السلام جديد نسبيًّا، إذ لم يمضِ عقد من الزمن على تورّطه في فضيحة عُرفت بـ «المليشيات المزيّفة» وكانت ضحيّتها ٣ آلاف مدنيّ. الرئيس الكولومبيّ ليس أوّل مجرم، أو مشتبه يحصد الجائزة في السابق سجّلت أسماء عديدة كـ مناحيم بيجن رئيس وزراء الكيان الصهيونيّ، وأحد قادة جماعة «الأرجون» الإرهابيّة، وفاز أيضاً شيمون بيريز الرئيس الإسرائيليّ الراحل مؤخّرا, لكنّ الجائزة مُنحت أيضاً للكثير من أصحاب الأسماء المشرقة في تاريخ البشريّة مثل الأمّ تيريزا، ونيلسون مانديلا، وآخرين مثلهما.

الفاصل على ما يبدو بين الدفاع المدنيّ والرئيس الكولومبي، هو أنّ الأخير قد يكون مجرماً تائباً، أمّا الأوّل فلم يجرم من قبل، وكان السلام عمله بالأصالة، وعلى اعتبار الجائزة اعتذار من صاحبه عن اختراعه لسلاح مميت، فهي تمنح بالتالي لمن تابوا وجنحوا له، وعليه قد يكون رئيس النظام السوريّ بشّار الأسد أقرب إلى جائزة نوبل للسلام من الدفاع المدنيّ وشهداء مشفى القدس ومتطوّعيّ النقاط الطبّيّة وفرسان الكلمة والعدسة على امتداد رقعة الدم في سورية.

نورس يكن

حوار مع المفكّر سلامة كيلة* (٢/١)

إذا استمرّ الغباء الروسيّ، يمكن أن تقع روسيا في مطبّات كبيرة،» «لكن ليس بفعل أمريكا، بل بفعل الشعب السوريّ نفسه

انطلاقاً من المعارك الأخيرة الحاصلة على الأرض السوريّة، وخاصّة في حلب هل ترى أنّ الحلول القادمة كلّها مبنية على معركة حلب فقط؟

سلامة كيلة: في التركيز على حلب، لربّما كانت روسيا بالأساس والنظام يعتقدان أنّ أيّ مفاوضات جديدة يجب أن تقوم على فرض ميزان قوى عسكريّ على الأرض لمصلحة الاثنين؛

لهذا حاولت في الفترة السابقة مع بدء المفاوضات الماضية أن تقوم بعمليّة واسعة بالسيطرة على العديد من المناطق واستطاعت فعلاً السيطرة على العديد منها، والتي كانت تخضع تحت سيطرة الفصائل المسلّحة.

لكن توقّف الأمر بعد الاتّفاق على وقف إطلاق النار، من ثمّ ظهر أنّ روسيا والنظام يريدان السيطرة على حلب أو حصار حلب لإنهاء وجود الكتائب المسلّحة فيها، وإخضاعها إلى منطق الحصار الذي يفرض إعادة السيطرة عليها، وهذا ما ساهم بإقناع أمريكا وبعض الدول الأخرى على قبول ما يطرحه الروس، لأنّ روسيا الآن تنطلق من أنّ عليها فرض الحلّ الذي تريده، والذي يقوم على استمرار «بشّار الأسد»، بالتالي. لمست أنّ معركة حلب مركزيّة في هذه المرحلة، وهذا لا يعني أنّ معركة حلب هي المعركة الوحيدة..

وهنا لو نجح هذا التصوّر للروس أو النظام في حلب، قد يذهبان إلى مناطق أخرى في سوريا..

وأعتقد أنّ روسيا تسعى لقضم مناطق أخرى للكتائب المسلّحة، سواء بقوى النظام وإيران وحزب الله، أو بقوى جبهة النصرة التي باتت تسمى «فتح الشام» لتحويل الأمر على الأرض أنّه لا يوجد سوى «داعش وجبهة النصرة والنظام»، وهنا تعود الأمور إلى طبيعتها. «داعش» والنصرة سيعودان إلى المواقع السابقة مقابل وجود النظام.

لماذا تمّ تجاهل مدن مهمّة بتروليّة بيد التنظيمات الرديكاليّة كـ «داعش» واكتفوا بالقصف الجوّيّ دون معارك على الأرض، رغم تأزّم النظام اقتصاديًّا؟

سلامة كيلة: ممكن أن نتحدّث عن عدم قصف «داعش» لسبب بسيط جدًّا، لأنّ النظام يصله النفط بشكل طبيعيّ، فالشركة الروسيّة التي أخذت حقل الغاز الأساسيّ في البادية السوريّة والذي بسببه أحدثت مشكلة بين النظام السوريّ وفرنسا في عام ٢٠٠٤، لازالت تعمل في هذا الحقل الذي يقع تحت سيطرة «داعش»، وكلّ ما جرى في تدمر كان واضحاً يجري بتنسيق بين «داعش» والنظام، ولأنّ الأخير في هذا المنطقة هو (داعش روسيا) الذي أسميته في إحدى مقالاتي. وهذا يثبت ما صرّح به «أحمد قاديروف» الرئيس السابق لدولة الشيشان المرتبط بـ»بوتين»، والذي قال: «إنّما أرسلنا مجموعات درّبت الوهّابين في سورية واشتغلت معهم واكتشفت أنّ هناك اختراقات بريطانيا وغيرها، وأنّ هؤلاء الذين يعملون إلى الآن مع «داعش» يوجّهون الطيران الروسيّ لقصف بعض المناطق».

وروسيا لا تعتبر أنّ هذه المنطقة خارج سيطرة النظام أو حتّى خارج سيطرتها، فهي تصدّر النفط للنظام عبر وسيط سوريّ اسمه «جورج حسواني» من مدينة «يبرود» السوريّة ويحمل الجنسيّة الروسيّة.

طبعاً روسيا لم تأتِ إلى سورية لحرب «داعش» أو حتّى جبهة النصرة، لأنّ الأخيرة و»داعش» مليئة بأشخاص يعملون في أجهزة الاستخبارات السوريّة والإيرانيّة والروسيّة، ويوجّهون من قبل هذه الأجهزة وهم عون لهؤلاء على الثورة السوريّة، وكان دخولهم لتخريب الثورة السوريّة وحرف مسارها.

تركيا الآن في حالة صراع داخليّ إن صح التعبير ومشغولة بما جرى في الفترة الماضية، مع عدم إغفال قضيّة الأكراد، فما الذي يمكن أن تقدّمه تركيا للقضيّة السوريّة في هذه المرحلة الحسّاسة؟ وهل لدول الخليج (الداعمة) للمعارضة بشقّيها دور جديد أم أنّها ستكتفي بذات الدعم والسياسات؟

سلامة كيلة: ليس هناك قوى داعمة، وكلّ الحديث هو إعلاميّ ومصالح لهذه الدول التي أدخلت ذاتها في الصراع السوريّ لتحقيق هذه المصالح، ولا أريد أن أتحدّث كثيراً عن هذا الموضوع لأنّ هناك وهم أنّه يوجد دول تدعم المعارضة وتدعم الثورة السوريّة، وأعتقد أنّ كلّ الدول الإقليميّة والدوليّة عملت على تخريب وتشويه الثورة بشكل أو بآخر.

سواء بالوقوف مع النظام ودعمه وإنهاضه حينما كاد يسقط، أو من خلال التغلغل بحجّة دعم الشعب السوريّ و تخريب الثورة بالأسلمة بشراء الكتائب المسلّحة بالمال وخلق تناقضات بين الكتائب المسلّحة ومنع تمركزها ومنع تنظيمها بشكل يسمح لها بالانتصار.

وضع تركيا الآن أكيد صعب، وظهرت صعوبته قبل محاولة الانقلاب.

حينما وجدت تركيا أنّها في مواجهة روسيا في معركة السيطرة على سورية. ولأنّ تركيا تعتقد أنّ سورية لها، وهذا ما اشتغلته مع «بشّار الأسد» وعقدت تحالفاً استراتيجيًّا معه وطوّرت العلاقة بشكل هائل، وأسّسوا معاً، بالإضافة إلى قطر، ما يسمّى محور (الممانعة).

لكنّ شعور النظام التركيّ أنّ نظام بشّار الأسد لا يريد تقديم تنازلات وبالتالي يمكن أن يؤدّي بسياسته العنيفة ضدّ الثورة إلى تدخّل خارجيّ يفقد تركيا موقعها في سورية، جعلت تركيا تنقلب لتكون هي المتدخّلة في سورية، بينما روسيا هي التي تريد سورية مركزاً أساسيًّا للسيطرة على الشرق الأوسط. في هذا الأمر، رغم تطوّر العلاقة الروسيّة التركيّة بشكل متتال وخصوصاً على الصعيد الاقتصاديّ وحتّى محاولة «أردوغان» أن يطوّر علاقة سياسيّة ثلاثيّة مع إيران وروسيا لتشكيل تحالف يكون مدخلاً لحلّ في الوضع السوريّ يخدم هذه الدول.

ورغم ذلك، اكتشف «أردوغان» أنّ أمريكا باعت سورية لروسيا، وأنّ روسيا دخلت بقوّاتها على الأرض، وبالتالي انتهت أيّة إمكانيّة ليكون لتركيا دور في سورية، هذا الأمر دفع «أردوغان» إلى تصعيد الصراع إلى أقصاه، لكنّه اكتشف أنّه وحيد وأنّه يزيد عزلة تركيا، حيث أصبح الحليف المحتمل أي روسيا عدوًّا أساسيًّا، لهذا تراجع، ومع الانقلاب، أعتقد أنّ الذي يشار إلى أنّ أمريكا لها علاقة به، ولا أعرف بالدقّة هل هو انقلاب برعاية أمريكيّة، يعني الحال الموضوعيّة تصبّ عند أمريكا، لذلك لا أستطيع أن أجزم أنّ هنالك دور أمريكيّ مباشر.

هذه الحالة، وصول «أردوغان» إلى هذه النتيجة سيدفعه لتطوير علاقته أكثر مع روسيا، وبالتالي، سيبدأ هناك تفاعل روسيّ تركيّ بمحاولة تفاهم على الوضع السوريّ، وإلى أيّ مدى سيقبل أردوغان ببقاء بشّار الأسد أو يمكن أن يصلوا إلى توافق ليس واضحاً.

لكن لربّما يكون هذا التفاهم مدخلاً لإعطاء هدوء لروسيا بتعاملها بالوضع السوريّ. وهنا يعني أنّ هذا التفاهم يفضي إلى قطع الطريق على أيّ تدخّل.

ويمكن أن يكون مدخلاً للوصول إلى تفاهم مشترك.

وخصوصاً أنّ دول الخليج تطوّر علاقة سريعة مع روسيا، وتعتبر أنّ علاقتها وثيقة، رغم الخلاف على الوضع السوريّ، وبالتالي يمكن أن يقطع النقاش حول الوضع السوريّ للوصول إلى تفاهم.

وآمل أن يقنع روسيا لحلّ دون وجود بشّار الأسد. وهكذا، يكون هناك توافق مسبق على توزيع المصالح .

أمريكا كما نعرف أنّها تنأى بنفسها منذ بداية الاحتراب في سورية، وقد سمحت للإيرانيّين والروس بالتدخّل المباشر في سورية، فهل الروس بهذه السذاجة ليغرقوا في المستنقع السوريّ على يد الحليف الأمريكيّ ولديهم تجربة سابقة في أفغانستان؟..

أم أنّ الضمانات الاقتصاديّة التي حصلوا عليها مع النفوذ هي طعم من طعوم الولايات المتّحدة؟ وكما نعرف، أن بعد الذي فعلته روسيا في سورية لن تبقى إلى الأبد؟

سلامة كيلة: هناك من يعتقد أنّ أمريكا تريد إغراق روسيا في سورية كما حدث في أفغانستان.

لكنّ هذا الأمر يفترض التدقيق الشديد؛ لأنّه يستلزم مسبقاً فهم تحوّلات السياسة الأمريكيّة منذ الانهيار الماليّ الذي حدث عام ٢٠٠٨، من ثمّ رسم استراتيجيّة جديدة للعالم منذ عام ٢٠١٠ وتبلورت في بداية عام ٢٠١٢ والتي تنطلق بالأساس من نقل أولوية أمريكا من الشرق الأوسط إلى منطقة جنوب شرق آسيا، لأنّ المنظور الأمريكيّ بات ينطلق بأنّ الصين هي التي تشكّل خطراً. بالتالي، يجب تركيز دعم الحلفاء في جنوب شرق آسيا، للسعي عالميًّا لفرض حصار على الصين، عبر إقامة تحالفات مع الدول المحيطة، روسيا منها، وإيران كذلك.

وهذا ما ظهر أيضاً مع إقرار أوباما بإبقاء الجيش الأمريكيّ في أفغانستان كجزء من الحصار؛ من هذا المنظور، باتت أمريكا غير معنيّة بمعركة طويلة مع روسيا، وبات الوضع الروسيّ ليس كوضع «الاتّحاد السوفيتي» الذي يجب أن ينهار من أجل انتصار الرأسماليّة كما طرحت روسيا، وقد أصبحت العلاقة بين أمريكا وروسيا علاقة عضّ أصابع، بمعنى أنّ كلّ طرف يضغط للحصول على امتيازات أكثر، وتقاسم أكبر.

وهذا ما يجري في «أوكرانيا» وما يجري في سورية.

أمريكا في سورية منذ بداية ٢٠١٢ على الأقلّ، أطلقت تصريحاً واضحاً مفاده أنّ على روسيا رعاية مرحلة انتقاليّة في سورية؛ وبالتالي، كانت تقول لروسيا إنّ سورية أنتِ معنيّة بها.

يعني أن تخرج من التنافس مع روسيا على سورية، وهذا الأمر للأسف لم يُفهم من قبل أطراف المعارضة السوريّة، وظلّ الوهم هو أنّ علينا دفع أمريكا للتدخّل، لأنّ المعارضة تنطلق من نقطة أساسيّة، وهي هاجس إسقاط النظام هو من مهمّة أمريكا، وبهذا أصبح برنامج اليوم التالي هو أساس النقاش وليس برنامج كيف نطوّر الثورة وكيف نسعى لكي تتنظم أكثر وتتوضّح أكثر.

من هذا المنظور، هذه الأوهام لم تتكسّر هو ما يوصلني إلى نتيجة أنّ ربّما إذا استمرّ الغباء الروسيّ، يمكن أن تقع روسيا في مطبّات كبيرة، لكن ليس بفعل أمريكا، بل بفعل الشعب السوريّ نفسه، وبعض التدخّلات الخارجيّة فقط. ولا أعتقد أنّ أمريكا تتقصّد ذلك. على العكس، أمريكا حاولت أكثر من مرّة مساعدة روسيا للوصول إلى حلّ.

لكن هناك غباء روسي أوصل إلى هذه النتيجة. كان يمكن منذ جنيف٢ أن يتحقّق الحلّ، لكنّ الغباء الروسيّ حال دون ذلك...

***بيبليوغرافيا**

من مواليد مدينة بيرزيت في فلسطين سنة ١٩٥٥، بكالوريوس في العلوم السياسيّة من جامعة بغداد سنة ١٩٧٩ .

عمل في المقاومة الفلسطينيّة ثمّ في اليسار العربيّ، ولا زال ينشط من أجل العمل الماركسيّ العربيّ. سجن ثمانية سنوات في السجون السوريّة. كتب في العديد من الصحف و المجلات العربيّة.

أصدر عدداً من الكتب منها:

١ - نقد الحزب (طبعة جديدة موسّعة) ط٣ (ط١/١٩٨٣ دار الجليل، دمشق، ط٢/ ١٩٨٧ دار دمشق) دار خطوات ٢٠٠٨.

٢ - حول الأيديولوجيا والتنظيم منشورات الوعي- ٣ ١٩٨٧.

٣العرب ومسألة الأمّة (دار الفارابي/ بيروت ١٩٨٩) دار التنوير ٢٠١٢

٤ - إشكالية الحركة القوميّة العربيّة (ط موسّعة)(ط١/١٩٩١ دار عيبال، دمشق) دار ورد/ عمان ٢٠٠٥.

- ٥ الإمبريالية ونهب العالم دار التنوير العلمي/ عمان ١٩٩٢.

- ٦ مقدمة عن ملكيّة الأرض في الإسلام دار المدى/ دمشق ٢٠٠١.

- ٧ فوضى الأفكار: ممكنات التطوّر الرأسماليّ ودور الماركسية ط٢ (ط١/٢٠٠١) دار الينابيع ٢٠١٠.

٨ - مناقشة لفكر ملتبس المادّيّة والمثاليّة في الماركسية ط٣ (ط١/٢٠٠١ دار الينابيع،ط٢/٢٠٠٥دار ورد الأردنية) دار التنوير ٢٠١٠.

٩ - الاشتراكيّة أو البربريّة ط١ دار بولاق/ عمان، دار الكنوز الأدبية، بيروت ٢٠٠١.

١٠ - أطروحات من أجل ماركسية مناضلة دار التنوير/ دمشق، منشورات الوعي الجديد ٢٠٠٢.

١١ - عصر الإمبراطوريّة الجديدة ط٢ (دار التكوين/ دمشق٢٠٠٣) دار جزيرة الورد ٢٠٠٩

١٢ - التطوّر المحتجز: الماركسيّة واختيارات التطوّر الاقتصاديّ الاجتماعيّ دار الطليعة الجديدة/دمشق٢٠٠٣.

١٣ - مشكلات الماركسية في الوطن العربي دار التكوين/ دمشق ٢٠٠٣.

١٤ - العولمة الراهنة: آليّات إعادة إنتاج النمط الرأسماليّ العالمي ط٣(دار نينوى ط١/٢٠٠٤، ط٢/ ٢٠٠٦) دار رند ٢٠١١

١٥ - الأبعاد المستقبليّة: المشروع الصهيونيّ والمسألة الفلسطينيّة دار أزمنة/ عمان ٢٠٠٤.

١٦ - ما الماركسيّة: تفكيك العقل الأحادي دار الينابيع/ دمشق ٢٠٠٧.

١٧ - اليسار السوريّ في واقعه الراهن دار عشتروت/ بيروت ٢٠٠٧.

١٨ - الماركسيّة والقوميّة في الوطن العربيّ ط٢(ط١مركز الغد العربي للدراسات/ دمشق ٢٠٠٧) دار تموز ٢٠١٢.

١٩ - من هيغل إلى ماركس موضوعات حول الجدل المادّي ط١ دار التنوير بيروت ٢٠٠٨.

٢٠ - من هيغل إلى ماركس، التصوّر المادّي للتاريخ ط١ دار التنوير/ بيروت ٢٠٠٩.

٢١ - التاريخ كصيرورة، أنماط الإنتاج في التاريخ العالمي ط١ دار التنوير/بيروت ٢٠١١.

٢٢ - الهزيمة والطبقات المهزومة ط١ دار فضاءات/ الأردن ٢٠١٠.

٢٣ - النهضة المجهضة (مشكلات الفكر العربيّ في القرن العشرين) دار التنوير/ بيروت ٢٠١١.

- ٢٤الإمبريالية المأزومة دار رند/ دمشق ٢٠١١.

٢٥ - أزمة الاشتراكيّة دراسة في تجربة القرن العشرين دار خطوات/ دمشق ٢٠١٠.

٢٦ -من أجل شيوعيّة مناضلة دار التنوير ٢٠١٢

٢٧ - الإسلام في سياقه التاريخيّ دار التنوير ٢٠١٢

- ٢٨ الانتفاضات العربيّة، صراع الطبقات وممكنات التغيير دار فضاءات ٢٠١٢

٢٩ -اليسار العربيّ في أفوله دار فضاءات ٢٠١٢

- ٣٠الثورة السورية واقعها صيرورتها وآفاقها دار أطلس ٢٠١٣

٣١ - وضع الثورات العربيّة ومصيرها دار خطوات ٢٠١٣

٣٢ - ثورة حقيقيّة منظور ماركسيّ للثورة السوريّة دار نون ٢٠١٤

- ٣٣ العلمانيّة المعنى والإشكاليّة في الوطن العربي دار نون ٢٠١٤

٣٤ - الماركسيّة اليوم دار خطوات ٢٠١٤

٣٥ - ثورة مصر الصراع الطبقيّ المفتوح دار روافد ٢٠١٤

٣٦ - مصائر الشموليّة سورية في صيرورة الثورة دار رياض الريس ٢٠١٤

٣٧ -رؤية مختلفة للعالم دار روافد سنة ٢٠١٤

٣٨ -الهوية والقومية والحداثة دار نون ٢٠١٥

- ٣٩ الصراع الطبقي في سورية دار المتوسّط ٢٠١٥

حاوره: أحمد بغدادي

جبل عبد العزيز و صراع الهويّة و الجغرافيا و النفوذ

كغيره من المناطق التي سيطرت عليها الوحدات الكرديّة الجناح العسكريّ لحزب الاتّحاد الديموقراطيّ، يخضع جبل عبد العزيز ببنيته الجغرافيّة و السكّانيّة لضغوط كبيرة تستهدف تغيير بنيته القائمة وإعادة صياغة هويّته، وفقاً لإرادة النفوذ والقوّة التي تفرضها الوحدات الكرديّة على كلّ المناطق التي تسيطر عليها، مستهدفة المكان في عمق جذوره واستئصال هويّة سكّانه؛ هذا بعد مرور سكّان الجبل بتجارب مريرة أيضاً مع الفصائل التي سيطرت عليه سابقاً، ومن ثمّ «داعش» وما طال الأهالي من تبعات سيطرتها على الجبل من قصف وتدمير.

الموقع والسكّان والطبيعة

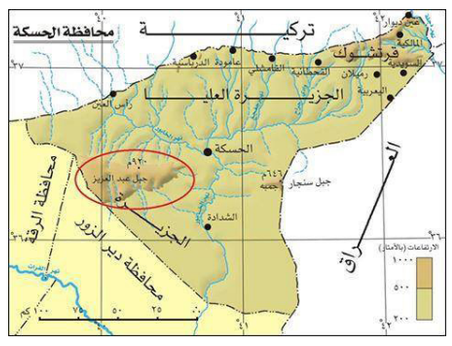

يقع جبل عبد العزيز إلى الجهة الجنوبيّة الغربيّة من محافظة الحسكة بمسافة نحو ٢٥ كم، وهو عبارة عن سلسلة جبلية طولها ٩٠ كم من الشرق إلى الغرب، تضمّ عدداً من التلال مختلفة الارتفاعات، بالإضافة إلى الوديان التي تسمّى بالثنايا ومنها (ثنية مغلوجة، ثنية الجفر ،ثنية البديع، ثنية الحجل) وتوجد فيه أربعة ينابيع أو عيون وهي (مغلوجة، الخزنة، الغرّة، العلاجة).

اتّخذ الجبل اسمه من اسم الشيخ عبدالعزيز بن الإمام عبدالقادر الكيلاني الحسني، أحد أئمة الطريقة الصوفيّة المعروفة بـ «الكيلانيّة أو الجيلانيّة»، والذي اتّخذ من الجبل مقرًّا له وكان أحد قادة جيش صلاح الدين الأيوبيّ، وتضمّ أحد قمم الجبل مزاراً للشيخ، يزوره سكّان المنطقة والدول المجاورة بهدف التبرّك و وفي النذور، وعلى أحد قمم الجبل تقع قلعة سكرة، وهي قلعة أثريّة تتميّز بطراز معماريّ مملوكيّ أيوبيّ.

يضمّ الجبل في موقع بلدة «مغلوجة « المعروفة بينابيعها الطبيعيّة غابة اصطناعيّة من الصنوبر، شكّلت متنزّهًا لسكّان المنطقة، كما أنشئت في الجبل عام ٢٠٠١ محميّة طبيعيّة تمتدّ على مساحة ١٨،٩٠٠ هكتار، لحماية التنوّع البيئيّ والغطاء النباتيّ والحيوانات البرّيّة التي تتّخذ من الجبل موئلاً لها؛ إذ يُعتبر الجبل الموطن الأصليّ لأشجار البطم الأطلسيّ والكونجوك، بالإضافة إلى أشجار اللوز الشرقيّ والزعرور والسوّيد الفلسطينيّ والتين، وبعض النباتات الرعويّة المعمّرة كالشيح والصرّ والروثة والزعتر والقيصوم، كما يضمّ أكثر من ٩٠ نوعاً من الطيور المهاجرة والمستوطنة والمئات من فصائل الحيوانات البريّة.

السكّان وقرى وبلدات الجبل

يوجد في الجبل أكثر من ٥٠ قرية وتجمّع سكّانيّ، يتراوح عدد سكّانها ما بين ٧٥- ١٠٠ ألف نسمة، منها ٢٦ قرية تحيط بالمحميّة، يتراوح عدد سكّان كلّ منها ما بين ١٠٠٠ – ٧٥٠٠ نسمة، بينها ٤-٥ قرى سكّانها من الآشوريّين، بينما بقيّة القرى جلّ سكّانها من العرب الذين ينتمون إلى عشيرة البقّارة «بقّارة الجبل» ، مع عدد من أبناء عشائر الشرابين والجبور والعدوان والسيّاد، وغيرها من عشائر الجزيرة السوريّة، ويعمل غالبيّة السكّان بالزراعة والرعي وتربية الماشية، ومن أهمّ قرى وبلدات الجبل، بلدة مغلوجة وهي أكبر حواضر الجبل، والغرّة ، أمّ الكبر، جرن أبيض، تلّ زعيتر، الشهيدي الفوقاني، المتوسّطة، الهامانيّة الفوقانيّة، العدّاد، العقلة، أبو صيرة، الداوودية الشرقيّة، والداوودية الغربيّة، الكفرة، الواسطة الجنوبيّة، تلّ السوسة، القصير، السوسة، الضبيب، الصليل، العلقانة، أمّ حجرة ،أبو فخيذ ،القرن، البديع، تلّ خليف ، تل حمام، الواوي، الحويج، تلّ المغر، خربة جاموس، العشرة مرويّة،البويضة، رجم العربيدي، الخابوريّة، المسعوديّة ، الكفرة، الصالحيّة، باب الخير، السرحانيّة، والخزنة، عزيا، خار، وغيرها.

جبل عبد العزيز وتبادل النفوذ والسيطرة

كانت قرى وبلدات جبل عبد العزيز ومنذ بداية الثورة السوريّة تعيش حياتها الطبيعية المعتادة، ولم تشهد كلّ تلك المناطق أيّة احتجاجات شعبيّة، أو اعتصامات ومظاهرات، وكان غالبيّة شباب المنطقة يقصدون مدينة الحسكة للتظاهر في حيّ غويران وغيره من أحياء المدينة، و تغيّرت حياة السكّان في النصف الثاني من عام ٢٠١٢، عندما بدأت كتائب الجيش الحرّ تسيطر على بعض مدن وبلدات ريف الحسكة؛

ففي تلك الأثناء تمّت السيطرة على عدد من قرى وبلدات الجبل، والتي انسحبت منها قوّات النظام واختفى وجوده الأمنيّ فيها، لتصبح المنطقة تحت سيطرة الفصائل التابعة للجيش الحرّ وبعض الفصائل الإسلاميّة، وتعرّضت المحميّة لتخريب كبير بعد سيطرة الجيش الحرّ وبعض الفصائل على المنطقة، وكانت توجد في الجبل مجموعة من الكتائب (مثل: أحرار الجبل، وغالبيّة عناصرهم من سكّان المنطقة وقد قاتلوا في مدينة رأس العين، ولواء شهداء غويران، وبعض من كتائب وألوية من خارج الحسكة ومعظمها من مدينة دير الزور، وهي الكتائب التي تمّ توجيه الاتّهام لها في تخريب المحميّة الطبيعيّة)، ومن ثمّ سيطرت حركة أحرار الشام على كلّ المنطقة،لحين انسحابها منها وسيطرة «داعش».

تعرّضت المحميّة لحملة من الرعي والإحطاب الجائر، ووقعت الحيوانات والطيور النادرة فريسة للصيد الجائر والممنهج، وكان أقسى ما تعرّض للتهديد والتخريب ما وقع في محميّة الغزلان التي تقع قرب مغلوجة، وتضمّ ٥٠٠ غزال من الفصائل النادرة المهدّدة للانقراض، ووُجّهت الاتّهامات للفصائل المسيطرة على المنطقة باستهدافهم الغزلان بهدف أكل لحومها، إلّا أنّ مصادر الجيش الحرّ أنكرت مسؤوليّتها عن هذا الفعل ووَجّهت بدورها الاتّهام إلى «أصحاب النفوس الضعيفة» من أبناء المنطقة؛ إلّا أنّ هذا لا ينفي مسؤوليّتهم وتقصيرهم في حماية المنطقة. كما تعرّضت الغزلان لمهاجمة الوحوش الضارية وقُتل عدد منها، بينما قامت لجنة أهليّة بمساعدة دائرة الحراج لإخراج /١٠٦ رؤوس/ من القطيع إلى مدينة الحسكة، حيث بيعت بشكل متفرّق للناس ضمن المحافظة، وقد قُتل نحو ٢٠ رأساً خلال عمليّات الإمساك بها بسبب ارتطامها بالصخور والأشجار في الجبل، ولم يبق بعدها أيّ أثر لقطيع الغزلان في الجبل، ووُجّهت كثير من الاتّهامات بسرقة الغزلان ومقدّرات المحميّة لحركة أحرار الشام، والتي إن لم تفعل هذا فإنّها قد قصّرت في حماية المحميّة وتركتها عرضة للنهب والتخريب.

من أحرار الشام إلى «داعش»

مع بداية عام ٢٠١٥ شنّ تنظيم «داعش» هجوماً واسعاً على القرى الآشوريّة، ومن ضمنها تلّ تمر وريفها، وكانت قد انطلقت معظم هجمات التنظيم على القرى الآشوريّة من مواقعه في الجبل الذي كان يتقاسم فيه السيطرة مع حركة أحرار الشام والتي انسحبت بشكل نهائيّ منه بعد خلافات مع «داعش» نهاية عام ٢٠١٤، الذي قام بتحويل الجبل إلى معسكرات لتدريب مقاتليه، ومستودعات لتخزين الأسلحة، مستفيداً من وعورة تضاريسه، وفارضاً على السكّان أحوال معيشيّة صعبة، وكان عدد كبير من سكّان القرى الآشوريّة قد نزح إلى قرى الجبل، لتتجدّد معاناتهم مرّة أخرى، وقد قُتل عدد كبير من المدنيّين بقصف قوّات النظام والوحدات الكرديّة، وبالألغام المتفجّرة التي زرعها التنظيم على طرقات الجبل وفي أراضيه الزراعيّة، ليتجدّد هذا الموت لاحقاً أيضاً على يد قوّات التحالف والطيران الروسيّ.

الوحدات الكرديّة وسيطرتها على الجبل ومعاناة السكّان

سيطرت الوحدات الكرديّة مدعومة بقوّات النظام وطيران التحالف الدوليّ على قرى وبلدات الجبل خلال أيّار ٢٠١٥، لتبدأ رحلة جديدة من المعاناة للسكّان.

التهجير والاعتقال

منذ اقتراب الوحدات الكرديّة من قرى الجبل واشتداد المعارك فرّ عدد من السكّان خوفاً من القصف، وتفادياً للاعتقال الذي كانت تمارسه الوحدات الكرديّة بحقّ مئات الشباب العرب بتهمة الانتماء لـ «داعش»، وما أن سيطرت الوحدات على قرى وبلدات الجبل حتّى قامت بإنذار عدد من أهالي القرى وخاصّة في السفح الشماليّ والشمالي الغربيّ بإخلاء بيوتهم بذريعة تحويلها لمنطقة عسكريّة لصدّ هجمات «داعش»، مع وعود كاذبة بعودتهم لاحقاً،

كما قامت بحملة اعتقالات واسعة بين الأهالي بذرائع متعدّدة، منها تأييد الجيش الحرّ، ومنها الانتماء لـ «داعش»، وهذه الظروف دفعت عدداً كبيراً من الأهالي للخروج من المنطقة باتّجاه بادية تدمر أو مدينة الحسكة والأرياف القريبة، بينما توجّه بعض منهم باتّجاه الحدود التركيّة، في حين منعت الإدارة الذاتيّة في الحسكة وريفها النازحين من دخولها بذريعة الخوف من اختراق «داعش» لهم،

و دفعت بالجميع باتجاه مخيّم المبروكة ليعيشوا واقعاً سيّئًا جدًّا، ويفتقدون أبسط الخدمات ويُمنع خروجهم من المخيّم، إلّا بوجود كفيل كرديّ، ممّا حوّل المخيّم إلى أشبه بمعتقل جماعيّ.

السيطرة على الأراضي الزراعيّة

تمّ الاستيلاء على آلاف الدونمات المزروعة بالشعير والقمح والتي قامت بحصادها لاحقاً، موزّعة الأراضي على أعضاء ما يُسمى «مؤسّسة عوائل الشهداء».

كما قامت الوحدات الكرديّة بالسيطرة بشكل رسميّ على آلاف الدونمات والبيوت بحجّة «الانتفاع» بها من قبل الدولة، أو بموجب عقد إيجار وقّع عليه الفلّاحون على أنّه شيء آخر كبراءة ذمّة من «داعش» أو للخروج من المعتقل،

بالإضافة للاستيلاء على أراضي العائلات التي كان ينتسب أحد أفرادها للجيش الحرّ، ففقد المئات من الفلّاحين أراضيهم بهذه الطريقة، وبقي عدد كبير منهم يعيش في خيام وبيوت من الصفيح على أطراف قراهم وفي البراري المجاورة لسفوح الجبل.

وكانت قد أعلنت الإدارة الذاتيّة عبر وكالة «هاورا» أنّ الجمعيّات التعاونيّة الزراعيّة، التابعة لها، أنّها زرعت،

خلال شهري تشرين الثاني وكانون الأوّل عام ٢٠١٥، ٢٠ ألف دونم من الأراضي الزراعيّة في جبل عبد العزيز، بمحصول الشعير؛ وذلك لتوزيع محصولها على المشاركين في مجالس تابعة لهذه الإدارة، بالإضافة إلى توزيعها صور لحصاد أكثر من ٥ آلاف دونم من الأراضي، هي تلك التي منعت الفلّاحين الملّاك لها من الوصول إليها و حصادها.

نهب المواشي و الممتلكات

شنّت الوحدات الكرديّة حملة واسعة من النهب للآلاف من رؤوس الأغنام، ومصادرتها علناً من أصحابها، بالإضافة إلى الطيور والحيوانات الداجنة، كما قام عناصرها بنهب البيوت التي غادرها سكّانها بالكامل، قبل حرق بعضها،

ويقول الشهود: «إنّ البيوت سُرقت بالكامل في بلدة مغلوجة، حتّى الأبواب والشبابيك تمّ خلعها منها، وباتت المدينة خالية تماماً من سكّانها بعد رحيل بعضهم إلى تركيا والبعض الآخر إلى منطقة الخابور المجاورة، بالإضافة إلى مصادرة مواشيها وأراضيها الزراعيّة». وعندما حاول بعض الأهالي العودة إلى بيوتهم وأرضيهم في الجبل تمّ منع غالبيّتهم، ومن عاد منهم وجد بيته منهوباً بالكامل، ما حدا ببعضهم للتظاهر احتجاجاً على ذلك، فقام حسين كوجر القياديّ بحزب الاتّحاد الديموقراطيّ مطلع العام الحاليّ بتوجيه إنذار للسكّان أمّا الصمت أو التهجير.

كما تقوم بعض العناصر العربيّة المنتمية للوحدات الكرديّة بإجبار الفتيان العرب من أبناء القرى على حمل السلاح والانضمام للقتال مع الوحدات.

تغيير اسم الجبل

كعادة الوحدات الكرديّة عند سيطرتها على أيّة منطقة، قامت بتغيير اسم الجبل، وأعطته اسماً كرديًّا «كزوان» أو «قزوان»، وقيل إنّ معناه «البطم» نسبة لشجر البطم الموجود بكثافة في الجبل، وكما نظّم (اتّحاد كتاب كردستان سوريا)، في مطلع هذا العام محاضرة في مدينة القامشلي لاختراع تاريخ وسرديّة للوجود الكرديّ في الجبل، وأسماه الكاتب «يونس حمى» بـ (جبل هومان) قائلاً: «كانت محاضرتنا حول جبل هومان المعروف حديثاً بجبل عبد العزيز، حيث كان سكّان هذه المنطقة بشكل عام من المكوّن الكرديّ.

أردنا أن نوثّق هذه المنطقة، فهناك قرى لحدّ يومنا هذا تعرف بأسمائها الكردية مثل دوباغي (dûbaxî) وسي كرا (sêgira) وغيرها، ومحاضرتنا اليوم تناولت موضوع جبل كزوان /عبد العزيز والتعريف بخارطته الكرديّة».

كلّ المصادر التاريخيّة منذ أكثر من ألف عام يرد فيها اسم الجبل باسم عبد العزيز، و الأهمّ أنّه حتّى اليوم لا يوجد في الجبل كلّه ومحيطه قرية كرديّة واحدة، وجميع الأكراد السوريّين في الجزيرة السوريّة يعرفون ذلك، ولا يوجد للأكراد أيّة قرى ملاصقة للجبل ولا مراعي حتّى، بينما يوجد قرى كردية بعيدة جدًّا عن الجبل وأقرب لمدينة الحسكة، وكلّ محيطها من القرى العربيّة، ويوجد بعض القرى الكرديّة القريبة من تلّ تمر والتي لا تقارن بحجم وعدد القرى العربيّة والآشوريّة، وهذه القرى تبعد أكثر من ١٥ كم عن الجبل شمالاً.

بسبب تلك الممارسات والمحاولات الحثيثة لتغير هويّة الجبل وتغيير واقعه السكّاني، بالإضافة إلي الاستيلاء علي القرى الآشوريّة في محيط تلّ تمر، يوجّه سكّان المنطقة وعدد من الناشطين الاتّهام للوحدات الكرديّة أنّها تعمل وفق مخطّط يتمّ فيه استخدام «داعش» بهدف السيطرة على القرى و الأراضي و تكريدها. بالمحصّلة يمكن القول؛ إنّ هذا الصراع قد أسفر عن دمار شبه شامل للمنطقة وأهلها وبيئاتهم، بالإضافة إلى تغيير معالم ومقوّمات الطبيعة، وتراجع نسبة المساحات الخضراء، وانتشار الأوبئة والأمراض والوحوش الضارية التي باتت تهاجم الناس، ممّا يجعل العيش شبه مستحيل لأيّ كان من السكّان، أيًّا كانت انتماءاتهم.

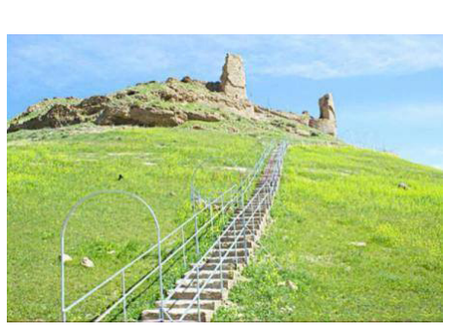

د. خولة حسن الحديد

قـــــــوّات الـــــــدفـــــــاع الـــــوطـــــنـــيّ

الباسيج الأسديّ

مقدمة

لم تكن دعوات الفيس بوك هي التي أشعلت شرارة النار في هشيم اليباس السوريّ، ولا تلك التجمّعات التي حدثت سواء في الحريقة أو أمام السفارة الليبيّة أو أمام وزارة الداخلية وغيرها، لم تكن تلك التحرّكات ، على أهميتها ، لتفجّر الثورة رغم وجود كلّ المقدّمات الضروريّة وغير الضروريّة لتفجّرها لولا أنّ عاملاً آخر أضيف إلى تلك المحاولات، وهو الذي فجّر الثورة فعلاً وأنهى تلك الخطوات المترددة ،وحطم هيكل الخوف، وأقصد الاستفزاز المتغطرس والمتحدّي، الذي قام به النظام لقيم ومقدّسات شديدة الرمزيّة في وجدان السوريّين عموماً.

جاء اعتقال أطفال درعا، ليضع أهلهم ومجتمعهم في تحدّ قاس أمام صلف النظام، وعندما حاول هؤلاء طيّ صفحة هذا الاعتقال بما يحفظ كرامتهم واحترامهم لأنفسهم، كان ردّ النظام الذي تعرّض فيه لحرمة النساء بالغ الإهانة، ممّا أدخلهم مرّة أخرى في تحدٍّ أقسى، فانطلقت الشرارة الأهمّ لتشعل فعلاً أوّل جذوة في نار الثورة السوريّة، وعندما اقتحمت قوّات الأمن الجامع العمريّ في درعا، كان النظام قد استفزّ ذاكرة قهرهم، وكلّ ما يشكل ركيزة الوجدان العميق لهم، وسكب زيتاً على نار لا تزال تستعر حتى هذه اللحظة.

تدحرجت كرة النار لتشعل قهر السوريّين المتراكم طيلة عقود، كان الأمر مفاجئاً ويكاد يقترب ممّا اعتبره السوريّين بغالبيّتهم بما فيهم من ثاروا أنفسهم يقارب المستحيل.

كان النظام قد وضع خططه لمواجهة احتمال كهذا، لكنّه لم يكن يتوقّع أبداً، أن يكون الأمر على هذا النحو، وبدا واضحاً حجم التخبّط في إدارة الأيّام الأولى لانفجار الثورة.

لم تفلح محاولات النظام في حصر النار بدرعا، وراحت المظاهرات تجتاح المدن والأرياف السوريّة، أمّا وحدات الجيش القليلة التي خرجت من مقرّاتها، في البداية على أمل أن تعود قريباً إليها، فقد وجدت نفسها في معركة تتزايد وتتّسع رقعة مواجهاتها. رافق هذا التمدّد انشقاقات واسعة في صفوف الجيش، وبدايات إنشقاق طائفيّ داخل تركيبته، ممّا أطلق إنذاراً بالغ الخطورة للنظام السوريّ، من أجل تدارك ما هو أخطر من ذلك.

هكذا انزلق النظام إلى مواجهة واسعة، لم يكن يتوقّعها، مواجهة استغرقت زمناً أطول بكثير، وتعدّدت جبهاتها، واستنزفت الكثير من إمكانات جيش، ينخر الفساد والطائفيّة والولاءات الشخصيّة جسده منذ عقود.

إيران تتولّى إدارة المعركة

كانت غرفة عمليّات إدارة الأزمة قد شُكّلت تحسُّبا قبل الانفجار الحقيقيّ للثورة، وضمّت قيادات عسكريّة وأمنيّة وسياسيّة سوريّة، وتمّ التسويق لاحقا على أنّها صاحبة القرار النهائيّ في اتّخاذ القرارات. لكنّ الحقيقة، ومنذ اللحظات الأولى، كانت هناك غرفة عمليّات ثانية، هي التي أدارت المعركة فعلاً، وهي التي قرّرت وفعلت كلّ شيء.

ضمّت غرفة العمليّات هذه: عدداً من الضبّاط والخبراء من الحرس الثوريّ الإيرانيّ يترأسهم «قاسم سليماني»، وكوادر رئيسيّة من حزب الله أهمها «مصطفى بدر الدين»، مع عدد من الضبّاط السوريّين، وثيقي الصلة بإيران وحزب الله.

هذه الغرفة هي صاحبة القرار الأخير في كلّ التفاصيل السياسيّة والعسكريّة، ويعتقد أنّها مسؤولة عن تصفيات كثيرة، جرت داخل بنية النظام نفسه.

كان رأي الخبراء الإيرانيّين، باعتماد الحسم العسكريّ كخيار وحيد، هو الذي تمّ تبنيه في غرفة العمليّات تلك، وتمّ بناءً على هذا الخيار تهميش وإبعاد كلّ الأصوات التي حاولت البحث عن مخارج أخرى، بمن فيهم شخصيّات كانت تصنّف على أنّها في الصفّ الأوّل عسكرياً (ما سمّي بخليّة الأزمة) وسياسياً مثل: فاروق الشرع.

كانت الخطّة التي تمّ وضعها، تتضمّن إدارة البلاد عسكريًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا، وسمّيت خطّة «إدارة الأزمة»؛ وكان من بين بنود تلك الخطّة الواسعة ماهو موضوع هذه الدراسة ،وهو تشكيل بنية عسكريّة رديفة تحاكي في تركيبتها نموذج القوة الرديفة التي شكّلها الحرس الثوريّ الإيرانيّ، (قوات الباسيج) ، و«الباسيج» كما هو معروف: مليشسيات عقائديّة (دينيّة) شبه عسكريّة قوامها الأساسيّ متطوعوّن، وتتبع تنظيميًّا وإداريًّا مباشرة للحرس الثوريّ الإيرانيّ، لكنّ قائدها الفعليّ هو المرشد الأعلى للثورة الإيرانيّة، وأوامرها تأتي من مكتبه الخاصّ.

تشكيل «قـوّات الـدفـاع الوطنيّ»

تمّ تكليف أحد الضبّاط السوريّين والمعروف بعلاقته الوثيقة الصلة بالقيادة الإيرانيّة، بوضع الخطوات التنفيذيّة لتشكيل قوّات الدفاع الوطنيّ، بما يناسب مهامّها ودورها الذي ستلعبه، والذي يماثل إلى حدّ كبير دور الأجهزة السرّيّة في النظم الفاشيّة.

يضاف إلى ذلك، أنّ هدف القيادة الإيرانيّة كان يرمي إلى ماهو أبعد من تشكيل بنية مؤقّتة، ينتهي دورها بانتهاء المعركة، فهي كانت تريد هدفاً آخر أكثر بعداً واستراتيجيّة، وهو تأسيس بنية تنظيميّة دائمة تقوم بمهامّها، ليس داخل الجغرافيّة السوريّة فقط، بل، وتلعب دوراً مستقبلاً في المشروع الاستراتيجيّ الإيرانيّ في المنطقة.

في البداية، تمّ انتقاء من هو مناسب ممّن يعرفون بالشبّيحة واللجان الشعبيّة، لكنّ هذا لم يكن ليشكّل إلّا جزءاً من التنظيم المخطّط له؛ لذلك أوكلت مهمّة ضمّ العناصر المناسبة إلى بضعة شخصيّات في عدّة مناطق من سورية.

البنية التنظيميّة لهذه الميليشيا يمكن تصوّرها كهرم بأربعة مستويات، المستوى الأوّل «قمّة الهرم» وتحتلّه قيادة مركزيّة، غالباً ما تكون خارج دائرة الضوء، وهي نواة صلبة شديدة التماسك والتجانس وتقود باقي مستويات الهرم، وترتبط مباشرة بقيادة الحرس الثوريّ الإيرانيّ ومكتب المرشد الأعلى للثورة الإيرانيّة، ولا تهمّ جنسيّة الأشخاص في هذا المستوى، أمّا المستوى الثاني فيضم القادة العسكريّون والسياسيّون والخبراء الاستراتيجيّون متعددو الاختصاصات، ويلقى الضوء على أفراده حسب الحاجة، وفي المستوى الثالث تأتي الكوادر التنفيذيّة والمدرّبة ميدانيًّا، والموثوق ببنيتها العقائديّة، أمّا قاعدة الهرم فيحتلّها الأفراد العاملون على الأرض والذين لايخضعون لمعايير صارمة في اختيارهم مثل باقي المستويات الأخرى.

تتولّى كوادر إيرانيّة من الحرس الثوريّ، وكوادر من حزب الله، مهمة تدريب وتسليح وتمويل هذه الكتائب ، وفي المستوى الثالث من الهرم يصبح الارتباط العقائدي مهما، وتكون عناصر هذا المستوى على الغالب محصورة بانتماءات طائفيّة (علويّة بنسبة ساحقة، وشيعيّة) بينما يمكن أن تضمّ قاعدة الهرم عناصر من مكوّنات أخرى يغلب عليها الطابع الطائفيّ للمنطقة الجغرافيّة التي ستعمل فيها كتائب الدفاع الوطنيّ (في منطقة وادي النصارى التي قادها بشر يازجي، كانت النسبة الكبيرة فيها من المسيحيّين، وكذلك الأمر في مناطق الدروز، وفي حلب تسلم هلال الهلال هذه المهمّة وكان معظم أفرادها من سُنّة حلب)، بالإضافة إلى أفراد يمكن استقدامهم من دول ومناطق أخرى.

تمّ اختيار المهندس «صقر رستم» لتشكيل وقيادة هذه الميليشيات في حمص، وهلال الأسد (ابن عمّ بشّار الأسد والذي قُتل في آذار ٢٠١٤، تقول رواية النظام إنّه قُتل في اشتباكات مع قوّات المعارضة قرب كسب، بينما تتداول روايات أخرى تقول إنّه اغتيل بسبب خلافه مع جهات إيرانيّة، وفي نفس السياق تمّ اغتيال محمّد الأسد المعروف بشيخ الجبل في آذار ٢٠١٥) لقيادة اللاذقيّة، واختيرت حمص كمركز رئيسيّ لقوّات الدفاع الوطنيّ، لاعتبارات عديدة أهمّها:

موقع حمص بالنسبة لسورية ولبنان، وبسبب تركيبتها الطائفيّة، وسيطرة المعارضة على مساحات واسعة منها، لكن الاعتبار الأهمّ والذي يفسّر لاحقاً المهام التي أوكلت إلى هذه الميليشيا، هو تغيير التركيبة الديموغرافيّة لحمص، باعتبارها شديدة الخصوصيّة ضمن الرؤية الاستراتيجيّة للمشروع الإيرانيّ.

هناك كتائب لقوّات الدفاع الوطنيّ في معظم المناطق السوريّة (دمشق، ريف دمشق، حلب، الرقّة، الحسكة، السويداء، حماة، ...) لكنّ كلّ هذه الكتائب تدار من قِبل الإدارة المركزيّة لهذه الميليشا.

لا يتّسع المجال هنا لاستعراض الكثير من المعلومات التفصيليّة حول الشخصيّات التي قادت ميدانيًّا مهامّ هذه الميليشيا، لكن يمكن الإشارة إلى: تيسير اسماعيل المعروف باسم «الأستاذ خلدون»، والذي يقود حاليًّا هذه الميليشيا في حمص بعد انتقال صقر رستم إلى دمشق، والعقيد هوّاش محمّد (انتقل مع صقر رستم إلى دمشق أيضاً)، بالإضافة إلى أشخاص من عائلة الفاحلي والسايس وغيرهم، وهناك أشخاص يقودون مناطق في حمص وريفها، وفي سلمية تزعّم هذه الميليشيات المدعو «مصيب سلامة» وهو شقيق رئيس فرع مخابرات القوى الجوّيّة في حلب اللواء «أديب سلامة»، وغزوان السلموني في الصبّورة وغيرهم ، يمكن اعتبارهم قيادات صفّ ثان، ويتمّ تداول أسمائهم بشكل كبير كقيادات صفّ أوّل، لكنّ هذا مردّه للفظاعات التي يرتكبونها.

حقيقة الدور الذي تلعبه ميليشيا «الدفاع الوطنيّ» يكفي للتدليل على أهمّيّة هذه الميلشيا، والدور الذي لعبته، الإشارة إلى تولّي صقر رستم رئاسة اللجنة الأمنيّة في محافظة حمص وهلال الأسد رئاستها في اللاذقيّة، واللجنة الأمنيّة في أيّة محافظة يعيّن رئيسها بأمر من بشّار الأسد، وتضمّ اللجنة في عضويّتها المحافظ ،وكلّ رؤساء الأفرع الأمنيّة والشرطة والقطعات العسكريّة الموجودة في المحافظة، وكذلك أمين فرع حزب البعث في المحافظة.

يتمتّع رئيس اللجنة الأمنيّة بصلاحيّات مطلقة، وهو الحاكم الفعليّ للمحافظة، يصدر أوامره إلى كلّ الجهات، بغضّ النظر عن أيّ اعتبار عسكريّ أو سياسيّ لأيّة جهة.

في حمص اتُّخذت المدينة الرياضيّة مقرّ إدارة لهذه القوّات، أضيف لها معسكر الحسن بن الهيثم للتدريب الجامعيّ، ومبان عدّة أخرى، وتمّ تشكيل قيادة متكاملة. كان حضور الإيرانيّين وحزب الله سرّيًّا في البداية، لكنّه فيما بعد أصبح علنيًّا لعناصر حزب الله، وشبه سرّيّ لعناصر الحرس الثوريّ.

أمّا في اللاذقيّة، فقد كانت المدينة الرياضيّة (نادي الفروسيّة) هي مقرّ قيادة هذه الميليشيا وألحقت بها مبان أخرى.

كان تدريب عناصر هذه الميليشيا يتمّ في داخل سورية (هناك معسكران في القرداحة) ومعسكر شرق حمص. أمّا في إيران، فقد تمّ تدريب كوادر خاصّة على استعمال أسلحة متطوّرة نسبيًّا (صواريخ تطلق من على الكتف شبيهة بصواريخ التاو)، ودورات قنّاصين، بالإضافة إلى الهدف الأهّم وهو ربط هذه المجموعة عقائديًّا بالحرس الثوريّ الإيرانيّ.

أعداد هذه الميليشيا في حمص، تمّ تشكيل هذه الميلشيا سريعاً، بعد الأيّام الأولى لمظاهرات حمص، وتضمّ القوائم المسجّلة في بداياتها نحو العشرين ألف اسم، لكنّ عدد الذين التحقوا فعليًّا في تلك الفترة لا يتجاوز الأحد عشر ألف عنصراً، الفرق بين العددين له عدّة أسباب منها: قبض المخصّصات الماليّة لعدد أكبر من العدد الفعليّ، ومنها:

أنّ أوامر صدرت بعدم ملاحقة الملتحقين في صفوف هذه الميليشا بتهمة التخلّف عن الخدمة الإلزاميّة، الأمر الذي دفع معظم المتنفّذين والقادرين ماليًّا إلى تسجيل أبنائهم فيها، (كانت تُدفع مبالغ كبيرة لقيادات هذه الميليشا من أجل الحصول على هويّة تحمي حاملها من التوقيف على الحواجز). لا يزال باب التنسيب مفتوحاً، وتقدر الأعداد حتّى نهاية ال٢٠١٥ في حمص وحدها بنحو ٣٠ ألف عنصر، منهم مايزيد عن العشرين ألف فعليًّا. أمّا في اللاذقيّة، فلم يتجاوز مجموع هذه الميليشيات ال ١٥ ألف عنصر، وهذه الأرقام كانت غير مستقرّة، إذ تسبّبت حوادث قتل أعداد كبيرة منهم في هروب أعداد منهم، وإحجام أعداد كبيرة عن التطوّع ضمنها.

بشكل تقريبيّ، يمكن القول إنّ العدد الأكبر

هناك ميليشيات كان قد تمّ تشكيلها سابقا ولم تكن تتبع إداريًّا «للدفاع الوطنيّ» ثم ألحقت لاحقا، مثل: كتائب البعث في حلب ١٢٠٠-١٥٠٠ عنصراً، بقيادة هلال الهلال.

وهناك كتائب لاتزال غير تابعه للدفاع الوطني لكنها على تنسيق دائم معها مثل «صقور الصحراء» في اللاذقيّة ٤٠٠٠-٥٠٠٠ عنصراً، بقيادة أيمن جابر. «الجبهة الشعبيّة لتحرير لواء اسكندرون» ٢٥٠٠-٣٠٠٠ عنصر، والتي يقودها التركيّ معراج أورال (علي كيالي)، وغيرها.

تسليح قوّات الدفاع الوطنيّ

لم يتمّ تسليح «الدفاع الوطنيّ» خارج المركز الرئيسيّ (حمص) بأسلحة نوعيّة أو حتّى ثقيلة، وظلّت الوحدات العسكريّة للجيش في مناطق عمل هذه الميليشيا هي القوّة الضاربة التي تنفّذ المهامّ العسكريّة الأساسيّة؛ لذلك اقتصر تسليح هذه الكتائب على السلاح الفرديّ والرشاشات المتوسّطة والثقيلة، بالإضافة إلى (دوشكا) محمولة على سيّارات، وقواذف الآر بي جي، بالإضافة إلى مدافع الهاون في بعض المقرّات الرئيسيّة.

أمّا في حمص فقد اختلف الأمر، إذ تمّ بناء ما يمكن اعتباره جيشاً بقوام فرقتين، وهناك اختصاصات عسكريّة أساسيّة يقودها ضبّاط مختصّون وموثوق بهم، تمّ نقلهم من ملاكات وقطعات الجيش السوريّ، ليصبحوا من ملاكات «الدفاع الوطنيّ» يرافقهم ضبّاط من الحرس الثوريّ الإيرانيّ، وأتبعت بعض معامل وزارة الدفاع بها.

هناك كتائب خاصّة، داخل هذه البنية العسكريّة: كتيبة المهامّ الخاصّة، كتيبة صقور الدفاع، كتيبة هندسة، كتيبة «قلب الأسد»، كتيبة المدفعيّة والصواريخ .... إلخ.

الوطنيّ، يمكن التكهّن بأنّ وحدات الجيش العاديّة لا تملك هذه النوعيّة من القذائف.

جغرافيًّا، هناك المدينة الرياضيّة في حمص، ومعسكر الحسن بن الهيثم (معسكر التدريب الجامعيّ سابقاً)، وهناك شرقيّ حمص على طريق تدمر معسكر آخر. بالإضافة إلى مبان ومستودعات (قسم منها في منطقة حسيا الصناعيّة)، وكلّ هذه الأماكن تابعة لقوّات الدفاع الوطنيّ.

عمل هذه الميليشيا ومهامّها

في البداية، كانت المهمّة الأساسيّة لهذه الميليشا هي قمع التظاهرات، ومنع قيامها، بالإضافة إلى مهامّ خاصّة يكلّف بها أفراد خاصّون من هذه الميليشا، فيدخلون جسد المظاهرة ويطلقون النار باتّجاه قوّات الأمن، أو يهتفون بشعارات طائفيّة، والشخص الذي رفع العلم الإسرائيليّ في أحد أحياء حمص القديمة، في الأشهر الأولى من الثورة، هو عنصر من عناصر الدفاع الوطنيّ.

أولى المهامّ النوعيّة لكتائب الدفاع الوطنيّ في حمص هي: فضّ اعتصام ساحة الساعة الشهير، والمجزرة التي ارتُكبت في الساحة قام بها عناصر من الدفاع الوطنيّ، بإشراف مباشر من صقر رستم، (تعدّدت الروايات حول الجهة المنفذة، ففي تلك الفترة لم يكن يُعرف من هو الشخص الذي يرأس اللجنة الأمنيّة في حمص، وكانت السمعة السيّئة للمخابرات الجوّيّة هي التي دفعت البعض للتكهّن بأنّ المخابرات الجوّيّة وراء هذه المجزرة)، بعد فضّ الاعتصام فجر ١٩-٤-٢٠١١، جرفت جثث الضحايا بجرّافات، وتمّ دفنها غرب حمص، أشرف على عمليّة الدفن عناصر من الدفاع الوطنيّ.

هذا كان يتمّ بهدف تغيير البنية الديموغرافيّة للمنطقة، في تفاصيل تنفيذ المهامّ اليوميّة لهذه الكتائب ما يشكّل صدمة بالغة القسوة، ويمكن وصف الجرائم التي ارتُكبت بأنّها من أبشع الجرائم في تاريخ سورية المعاصر.

شاركت «قوّات الدفاع الوطنيّ» في الكثير من المعارك، في ريف اللاذقيّة، وفي حمص، وفي حلب (خسرت الدفاع الوطنيّ عدّة مئات من عناصرها في دارة عزّة بحلب بسبب حماقة قياداتها)، ولعل الكثيرين تبنّوا فكرة قيام كتائب «معراج أورال» بمجزرة بانياس، لكنّ الذين نفّذوا المجزرة عمليًّا هم عناصر من «الدفاع الوطنيّ» قدموا من حمص.

التمويل والرواتب

منذ التأسيس، تولّت إيران تمويل «قوّات الدفاع الوطنيّ المركزيّ»، وفرض على بعض رجال الأعمال تمويل كتائبه في مناطق أخرى، كانت رواتب المتطوّعين في هذه الكتائب – دائماً - أعلى من عناصر الجيش بنسبة تراوحت بين ٥٠ إلى ١٠٠ بالمئة، (تتراوح الرواتب الشهريّة للعناصر بين ٨٠ – ١٥٠ $) لكنّ الدخل الحقيقيّ لهذه الميليشيا كان مصدره عمليّات النهب، التي حصرت بهم بأوامر من جهات عليا، لا يمكن تقدير الثروات الهائلة التي نهبت بشكل ممنهج ومدروس، وإن كان ما سمّي «التعفيش» هو من حصّة العناصر العاديّين في هذه الميليشيا، فإنّ القيادات العليا كانت تختار دائماً مصادر للدخل العالي جدًّا مثل: الحواجز - سرقة الآثار وبيعها – الخوّات المفروضة على رجال الأعمال – تفكيك وبيع منشآت ضخمة – عمليّات الخطف لشخصيّات ثريّة وطلب فدية ....إلخ.

على سبيل المثال: كلّ مزارع الخيول في منطقة بابا عمرو والبساتين المحيطة استولى عليها صقر رستم، ونقل كلّ الخيول إلى

هذه العقود تنصّ على أن تقوم قوّات الدفاع بحماية منشآت ما مقابل مبالغ ماليّة ضخمة، منها: حماية معمل الغاز – حماية حقل نفط الشاعر – حماية بعض المؤسّسات. (والمضحك في الأمر أنّ هناك عقود حماية لبعض قطعات الجيش، خصوصاً قطعات الدفاع الجويّ).

لكنّ الدخل الأهمّ هو ما يختصّ به مكتب الترفيق والمواكبة، هذا المكتب يتعهّد حماية القوافل التي تنقل النفط والقمح من مناطق سيطرة تنظيم الدولة «داعش» إلى مناطق النظام (كلّ القمح الذي أنتجته الأراضي الواقعة تحت سيطرة التنظيم في السنة السابقة اشترته الحكومة السوريّة). يشرف الآن بشر يازجي(كان قائد كتيبة الدفاع الوطنيّ في وادي النصارى) على مكتب الترفيق والمواكبة.

تتبع «مؤسّسة الشهيد» والتي يرأسها صقر رستم شخصيًّا، لكتائب «الدفاع الوطنيّ»، وهي مؤسّسة لتلقي الأموال وتبييضها، وتجنّب العقوبات الدوليّة، كونها تحمل صفة العمل المدنيّ، ومنذ فترة أبعدت أهمّ قيادات الدفاع الوطنيّ عن الواجهة، لتجنّب ذكر اسمها في قوائم العقوبات الدوليّة.

خاتمة

يمكن القول: إنّ أهمّ تشكيل عسكريّ الآن في سورية يتبع للنظام وشديد الولاء لبشار الأسد هو «قوّات الدفاع الوطنيّ»، ويعتبر بشّار الأسد أنّ هذا التشكيل هو جيشه الخاصّ، (صلاة عيد الفطر الأربعاء ٦-٧-٢٠١٦ تمّت في منطقة سيطرة كتائب الدفاع الوطنيّ في حمص «جامع الصفا - حيّ عكرمة» وبحمايتها، وزيارته الشهيرة لبابا عمرو تمّت أيضاً بحماية قوّات الدفاع الوطنيّ).

يخطط أن يلعب هذا التشكيل دوراً مهمًّا

الذي وصلته هذه الميليشيا في عموم سورية يتراوح بين ال ٥٥ – ٦٠ ألف، لكنّ منذ إعلان التدخّل الروسيّ في سورية، حاولت روسيا تحجيم هذه الميليشيا (ربّما بسبب تبعيّتها لإيران) وعملت على خلق ميليشيا أخرى (درع الساحل، مثلاً) بقيادات أخرى، الأمر الذي أدّى إلى انخفاض بسيط في أعدادها.)لا أدري إلى أي حد يمكن ربط الموقف الروسي من هذه الكتائب مع نتائج المعارك الأخيرة التي دارت في ريف اللاذقية (.

باختصار، القيادة المركزيّة للدفاع الوطنيّ، بنيت كمؤسّسة عسكريّة متكاملة ومسلّحة بما يتناسب مع مهامها ، مع إدارة سياسيّة وأمنيّة.

حتّى الآن، لم تتسلّح هذه الكتائب بصواريخ أرض أرض بعيدة المدى، لديها ما هو قصير ومتوسّط، ولم تشكّل أسراب طيران حربيّ خاصّ بها، لكنّ اللافت للانتباه، أنّ هناك قذائف يستعملها الطيران الحربيّ، يجري إرسالها من مستودعات خاصّة بالدفاع

لعلّ، المهمّة الأساسيّة التي اشتغل عليها الدفاع الوطنيّ في حمص هي: ارتكاب مجازر طائفيّة بالغة البشاعة (هناك ما يزيد عن عشرين مجزرة طائفيّة موثّقة قامت بها قوّات الدفاع الوطنيّ)، وخصوصاً في مناطق التماس الطائفيّ/ سهل الحولة - مصياف ريف حمص الشماليّ - الزارة ومحيطها شرقاً: تلبيسة - عزّ الدين - حوش حجّو. كما قاموا أيضا بقتل أشخاص من الطائفة العلويّة من أجل تسعير الحقد الطائفيّ واتّهام المتظاهرين بها، كل

مزارع خاصّة في طرطوس، وهناك ثلاثة تجّار كبار من عائلة مندو في بابا عمرو، منع صقر رستم العناصر العاديين من اقتحام فيلّاتهم وقام هو شخصيًّا باقتحامها ونهب كلّ مافيها، هناك معلومات تشير إلى أنّ هؤلاء التجّار كانوا يضعون في فيلاتهم مبالغ ضخمة، وكان صقر يعرف هذه المعلومة .

أوقفت إيران تمويلها في منتصف العام الماضي بعد أن إيجاد طريقة أخرى للتمويل، فتمّ توقيع عقود حماية مع الحكومة السوريّة،

في بنية الجيش السوريّ لاحقاً، وفي بنية الأجهزة الأمنية، هناك شخصيّات أخرى حاولت أن تشكّل ميليشياتها الخاصّة، خصوصاً أنّ هذه الميليشيات أصبحت مشاريع استثماريّة تدرّ أموالاً طائلة جرّاء عمليّات النهب وبيع الآثار وسرقة أملاك المواطنين، لكن مراكز النفوذ هي التي تحدّد من سينهب هنا ومن سينهب هناك .

بسّام يوسف

قسراً... ثلاثة أيّام في السويداء

حفل الزفاف بعد أربعة أيّام، والعروس بمكانة أختٍ صغيرة لي ومن المفروض أن أكون معها ومع عائلتها، التي تعتبرني فرداً منها، أشاركهم تحضيرات الزفاف مهما كانت الظروف. حاولت التهرّب بلا جدوى، لا أعذار مقبولة في مثل تلك الحالات.

جهّزت حقيبتي وغادرت المنزل باتّجاه محطّة الباص. أخذت التذكرة وجلست في الكرسيّ الأماميّ خلف السائق مباشرة، في مكاني المفضّل دائماً. لأنّه يكشف الطريق والأفق أمامي.

منذ مدّة طويلة لم أسافر إلى هناك. انطلقت الحافلة الساعة الثانية والربع ظهراً. بعد ثلاث دقائق من انطلاق الرحلة توقّفنا عند أوّل حاجز لتفييش الركّاب.

بقينا منتظرين حتّى الثالثة تقريباً حتّى انتهى التفييش بسلام. ثمّ انطلقنا، وبعد خمس دقائق توقّفنا عند الحاجز الثاني، لكن هذه المرّة لم نتأخّر، عشر دقائق فقط وتابعنا.

وبعد عشرات الدقائق حاجز ثالث... وهكذا حتّى اجتزنا أربعة عشر حاجزاً، قطعنا خلالها مسافة لا تتجاوز ٩٠ كيلو متراً من دمشق إلى السويداء. وصلنا عند الساعة الخامسة مساء.

استقليت سيّارة أجرة إلى منزل العروس، وعند مرورنا بالقرب من ساحة المحافظة دار السائق من حولها حتى بتّ أرى بعض معالمها الممتلئة بالبشر الغاضب.

سألت السائق وأنا أعلم الإجابة مسبقاً: لماذا غيّرت الطريق؟ أجاب: جميع الطرق مغلقة بالناس. سألته: لماذا؟ فروى لي قصّة ذلك الشابّ طالب الهندسة، الذي قتل طعناً بالسكين من قبل ثلّة من الشباب المعروفين بإجرامهم في تلك المحافظة، دون رادع أو قانون يحاسب ويعاقب، وهؤلاء الشباب من الذين يتمّ العفو عنهم وإخلاء سبيلهم بالمراسيم التي تصدر دائماً. كان التجمهر والاعتصام للمطالبة بإعدام القاتل في الساحة العامّة، ومحاسبة شركائه في الجريمة، لكن على ما يبدو، لا صدى لهذا المطلب ولا حتّى لمحاكمة عادلة.

أهل المجرم سلّموا ابنهم للأمن خوفاً من ردّة فعل الحشود التي تطالب بدم المغدور، وللأسف لا إجراءات اتّخذت لتهدئة الشارع، ولا حتّى أمل بمحاكمة تنصفهم، ما استدعى بقاء الاعتصامات مفتوحة أمام مبنى المحافظة لمدّة خمسة أيّام! هكذا استقبلتني المدينة، وكان هذا العرس الأوّل الذي حظيت بمشاهدته.

وأخيراً وصلت إلى وجهتي ومقصدي، رحّب الجميع بقدومي، وكانت جلسةً للأحاديث والأسئلة المعتادة للاطمئنان عن حال الجميع وعن الأحوال والأحداث المستجدّة في كلّ مكان.

أمّا الحدث الأبرز فكان حول ما يجري في السويداء، نعرّج تارة على تحضيرات الزفاف وبشكلٍ لا إراديّ نعود إلى ما يجري في الشارع، لا أحد يستطيع التركيز في موضوع معيّن او فكرة بعينها.

تشتّت في كلّ شيء، والكلّ متوتّر. كان هذا حال الجميع، نحقن أنفسنا بالأمل والتفاؤل أحياناً، لكن ما هو إلّا تخدير موضعيّ لبعض آلامنا. وما أن ينتهي مفعول المخدّر نصحو على واقع لا يوصف، نحاول أن نصنع الفرح بأيّ ثمن.. لكن الحاضر دائماً هو الحزن والخوف من القادم في أيّة لحظة.

عرس هنا وجنازة هناك. اشتباكات وإطلاق أعيرة نارية في مكان آخر. خطفٌ وتهريبٌ وقتل في كلّ مكان. عملاء الأمن العسكريّ والجويّ والسياسيّ من ضعاف النفوس ومن المجرمين أصحاب السوابق، وممّن استغلّ النظام فقرهم وسوء أحوالهم وحاجتهم الملحّة للمال، جميعهم مجنّدون لصالحه ليعيثوا فساداً وإجراماً بين الناس.

حالة من الفلتان المتعمّد والمخطّط له من قبل القيادات الأمنيّة، هذا مع زخم الوجود الكبير لمقرّاتهم وأفرعها في المحافظة، الذي ينذر بحرب أهليّة في المحافظة نفسها، بعد أن فشلت كلّ محاولاتهم بإشعال فتيل الصراع مع الجارة درعا حيناً، ومع البدو تارة أخرى. كل ذلك على خلفيّة الاعتصامات التي نشطت منذ مدّة للمطالبة ببعض المستحقّات التي حرمت منها المدينة وسكّانها، ولإعادة عدد كبير من الموظّفين المفصولين من وظائفهم بسبب رفضهم الالتحاق بالخدمة العسكريّة والاحتياط.

باتت اللغة المعمول بها هي المال مقابل أيّ شيء يريدونه. فأبواب المدينة مفتوحة على التهريب بأشكاله وقذاراته كافّة، إضافة إلى الخطف والقتل. تهريب السلاح إلى المناطق الحدوديّة في المحافظة، أي إلى تنظيم «داعش» مقابل المحروقات كمادّة المازوت والبنزين وأنواع المخدّرات كافة، وصولاً إلى مادّة السكر.

تتكرّر الأسئلة؛ من أين يأتي السلاح وباقي المهرّبات بهذه الكميّات الكبيرة مع وجود عشرات الحواجز التابعة للنظام والتفتيش الدقيق للسيّارات؟ تخرج السيّارات محمّلة من الأفرع الأمنيّة، ويحمل سائقها أو المسؤول عن الحمولة مهمّة أمنيّة يتخطّى بها كلّ تلك الحواجز، وعند وصولهم الى القرى الحدوديّة يتمّ بيع السلاح بمبالغ خياليّة، بدءاً من السلاح الخفيف إلى المتوسّط إلى الثقيل نوعا ما.

وعند اكتشاف الحمولة من قبل أحد العناصر في بعض الأحيان، يكون الاشتباك بالأسلحة وإطلاق النار وقتل كلّ من يعترض الطريق هو سيّد الموقف.

وكم من الأرواح البريئة سفكت دماؤهم بلا ذنب. إضافة إلى حالات الخطف وطلب الفدية، التي تصل إلى الملايين، ثمّ يكون القتل كي لا تكشف الجهة المختطفة. أساليب مبتدعة لسرقة السيّارات، حالات الثأر من بعضهم، والإخفاء القسريّ. الجثث مجهولة الهويّة. الكلّ يحمل السلاح. لصالح من كلّ هذا الكمّ من التسلّح؟ أسئلة تجد مبرّراتها لدى الجميع، وأهمّها الدفاع عن النفس. والواضح الآن أنّ السلاح يستعمل في افشال حالة السلم الأهليّ والتوازن الذي يحاول العقلاء الإبقاء عليه.

بعد كلّ حادثة يجتمع المشايخ والعقلاء دائماً من كلّ الأطياف في المحافظة، وتدور حوارات وتطرح حلول لا تطبّق، ولا أحد يلتزم بها، لأنّ المجتمعين بغالبيّتهم هم وكلاء النظام، ومنه يأخذون شرعيّتهم، وخاصّة أنّ المشايخ هم أزلام السلطة أكثر منهم رجال دين! تهدأ الأمور حيناً، وتعود للاحتدام مرّات ومرّات، ولا حلول جذريّة.

انتهى حفل الزفاف، وحفلات أخرى كثيرة، ومن أنواع مختلفة. لكن تبقى الهواجس والأسئلة إلى أين؟ فالطريق كما رسمها النظام باتت واضحة المعالم، ولا يختلف في تفسيرها اثنان... والجميع تحت المقصلة؛ موالٍ ومعارض ورماديّ.

إمّا أن تقبلوا وتنصاعوا للنظام، وإمّا نفتح عليكم أبواب جهنّم و «داعش» لكم بالمرصاد.

شام المصري

النسوية المعاصرة للعالم الثالث
حرية الظاهر وعبودية الباطن

جاء عصر التنوير الأوروبي بشكليه السياسي والفكري، كصيغة قطعية مع التاريخ، محولاً ما سبقه إلى صورة وجدانية ونموذج تجريبي انتهى بشكل حاسم.

لم يأت الحدث الجوهري في ذلك العصر كإنتاج معرفي أولي أو تطور صناعي تدريجي فحسب، بل جاء كفعل شارخ للعملية التحررية الإنسانية بأسرها ضد السلطات الأبوية الحاكمة.

كانت الأمور في ذلك العصر قد بدأت تأخذ المنحى التحرري لمسائل تُعتبر محرمة.

ففي عام ١٧٩١، تم إعلان وثيقة حقوق المرأة وتوفير كل الإلتزامات لهن.

ومنذ تلك اللحظة، انطلقت للعالم إحدى المسائل المهمة في تاريخ الإنسانية، التي تم من خلالها استعباد النساء لآلاف الأعوام تحت مسميات الاخلاق والدين (الأبوية الحاكمة).

لم يتوقف الأمر عند فترة التنوير، فخلال أربعة قرون لاحقة استطاعت العقول المتحررة (نسوياً وذكورةً) في كل أصقاع العالم، تشكيل تجمعات ومنظمات صغيرة تدعو للحرية النسائية السياسية والفكرية.

فمرّت الحركة النسوية بثلاث مراحل تاريخية، كانت الاولى في أواخر القرن التاسع عشر، والتي تجسدت في أوروبا بأسماء مهمة كهيلينا لانغ، وكلارا زيتكن، وكريستابل بانكهورست، وجرترود باومير، وروزا لوكسمبورغ، وأنيتا أغسبورغ، حققت فيها المرأة حقوقها السياسية بشكل فعلي، وحقوقها في العمل، وبدأت تنطلق المراة بتحررها على المستوى الاجتماعي والأخلاقي.

وفي المرحلة الثانية، في أوساط القرن العشرين، بدأت الحركة النسوية تطالب بما هو أكثر من مجرد الفعل السياسي، فأنطلقت بمشاريع فلسفية ومواقف إزاء الحرب الأمريكية على فيتنام، وأصبح للمرأة دور ريادي في الفكر العالمي المؤثر، كسيمون دي بوفوار وأناييس نن وحنة أرندت، كمفكرات فاعلات بتغيير التفكير إزاء الفلسفة والمجتمع والفكر المجرد، مما اجبر الشعوب العالمية والحكومات على الاعتراف بقوة المراة ودورها الجوهري في الحياة وتأثيرها التوعوي بتغيير أسس العالم الحديث.

ورغم كل ما حُقّق، استمرت الحركات النسوية في العالم، كصيغة فعل اجتماعي مباشر، بالموجة الثالثة التي انتشرت أواخر القرن العشرين في أمريكا، كداعم للحركة الثانية الفكرية وامتداداً لها.

ضمن هذا الاستعراض البسيط لتاريخ الحركات النسائية، لم يعد أمام المجتمعات سوى التسليم بأهمية المراة وحقوقها ومساهماتها ليست فقط السياسية بل الفكرية بالدرجة الاولى.

ومع بدايات القرن الواحد والعشرين، وسرعة التحول البشري من فعل اجتماعي صدامي لفعلٍ معلوماتي معرفي مجرد، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما يمكن تسميته (الفردانية التكنولوجية)، تعطلت الحركات النسوية كفاعل مباشر، مثل جميع الحركات الفكرية الأخرى المرتبطة بالعلاقة المتبادلة مع الواقع، وتلاشى الفعل المؤثر تحت سرعة تحولات الحياة العصرية.

ذلك التلاشي السريع أدى بالشكل النسوي للانحلال في البوتقة الذتية لدى المرأة، وتحولت النسوية من حركة اجتماعية لحركة تجمعات ذاتية وصغيرة منعزلة خلف وسائل التواصل الاجتماعي.

تلك القفزة السريعة لطبيعة الحركة النسوية، لم يعد لديها ما تقدمه فعلياً على مستوى الفكر أو التحرر بالمبدأ العقلاني، بل أصبحت عبارة عن اجترار كلام مكرور وقديم. فليس هناك فعل سياسي ولا انتاج فكري مؤثر. إلى أن بدأت تظهر في منطقة الشرق الأوسط الحركة السياسية الجديدة التي سميت بالربيع العربي، التي لعبت فيها المراة فيها دوراً مميزاً على مستوى الواقع.

لكن لم يطل الامر بالطبيعة النسائية لمشاركتها في الفعل السياسي ضد الانظمة الحاكمة، إلا وتحولت فيما بعد نتيجة الفوضى الشاملة، إلى حركات تبنّت الفهم المغلوط للنسوية، ودخلت بسرعة هائلة إلى حركة صدام مناهضة للمجتمع، نتيجة الإقصاء المباشر أو غير المباشر.

انتقل فعل الحركة النسوية من دول العالم الاول إلى دول العالم الثالث، لكن بشكل مغاير عن حقيقة المسعى النسوي الذي تشكل وتطور خلال ثلاثة قرون، فتحولت الحركة النسوية من حركة مشاركة للنهوض بالمجتمع إلى حركة ضد المجتمع، وممارسة الفعل الإقصائي والتركيز باللوم على عبودية المراة منسوبة للذكورة الاجتماعية، دون الرجوع لحقيقة السلطة الاستعبادية المتمثلة بالسلطات السياسية والاقتصادية الحاكمة والتي تسيطر على حياة الجميع نساءً ورجالاً.

بالطبع لا يتجسد الامر هنا بمحاربة الحركة النسوية بقدر ما هو تشريح للطبيعة الذهنية والوعي الذي تحولت فيها النسوية (كحركة وذهنية) من فعل مشارك لفعل مضاد.

ومن الامثلة النسوية التي اجتاحت وسائل التواصل الاجتماعي، وفي إحدى الصفحات المدافعة عن حقوق المراة، يوجد صورة (فوطة نسائية) مكتوب عليها.. صباح مجدك.

وطقوس جسدك. وطهارة دورتك. جعلونا نكره دورتنا الشهرية ونخفيها بكل تفاصيلها. ليس بعد الآن. صباح قداستك الشهرية.

وفي مجمل حرب التعليقات السخيفة للأسف، يتجسد الفهم المغلوط لمسألة التحرر النسوي. تاتي طريقة الطرح في هذه الامثلة كحالة عصاب مزمن على الواقع السيء، طرح لا يحقق للأسف أدنى رغبة للتحرر، إنها شيء شبيه بالحلزنة حول الذات.

وما يثير الاستغراب بالذهنية التي تطرحها مجموعات الحركات النسوية التحررية، هو انتقائية التحرر، بمعنى التحرر المنقوص ضمن الشرط المجتمعي (التابو اللاهوتي المقدس). فيمكن لداعية تحرر نسوي أن تخطب بآلاف الجماهير للخلاص من السلطة الأبوية، لكنها في نفس الوقت تعشق الحبيب الذي يثير في عاطفتها اللحظة الخانعة لأنوثتها. ويمكن أن تناقش مسألة الدم الانثوي المقدس بفوطة نسائية علناً، لكنها حذرة في مسألة خلاصها لعذريتها المتجذرة لاهوتياً.

إن الطرح هنا ليس لمهاجمة أحد أو الانتقاص من حرية الأفراد، وخياراتهم الشخصية المقدسة في الحياة، - على اعتبار أن الشيء الوحيد المقدس في الحياة هي الحرية الشخصية وليست الفوطة النسائية - بقدر ما هو محاولة فهم ظاهر الحرية وعبودية الباطن. ذلك العصاب المتخبط.

وأخيراً إن نشوء الحركات النسوية تاريخيا أتى كصيغة تطور مجتمعي وليست حرب مجتمعية، فإن كان لا بد من رفع شعار النسوية واستمراريته خلف شاشات التكنولوجيا فليكن البناء وليس التهديم.

علياء الويسي

حسين مروة.. اغتيال الفكر قبل السياسة

في السابع عشر من شباط عام 1987، أسكتت رصاصة قلم حسين مروة عن الإبداع، وصوته عن النضال

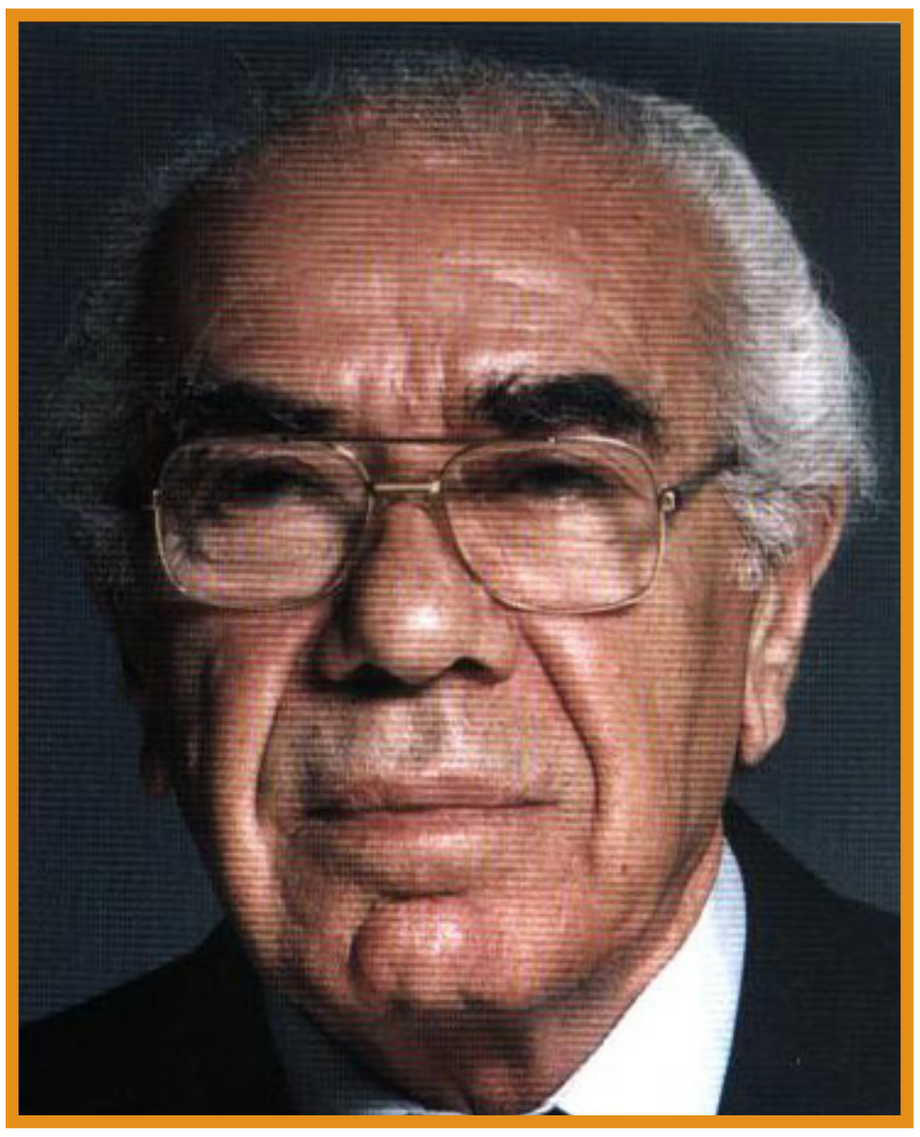

ولد المفكّر النقدي حسين مروة (١٩١٠ – ١٩٨٧) والذي عُرف أيضاً بأوساط الثقافة اللبنانيّة والعربيّة باسم الشيخ حسين، في قرية حداثيا في جنوب لبنان، لوالدين من الطائفة الشيعيّة. أمضى سنواته الأولى في قريته التي لم يغادرها، إلى أن قام والده بإرساله في عام ١٩٢٤ إلى العراق، لدراسة العلوم الشرعيّة والإسلاميّة في جامعة النجف.

وتعتبر حياته في تلك المرحلة الدراسيّة أنّها كانت بداية تأسيس عميق لفكر حسين فيما بعد.

فلم يتلقّ العلوم الدينيّة بطريقة أن يكون رجل دين فقط، بل كان ينظر لتلك العلوم بوجهة نظر نقدية واعتبارها منطلقاً للتراث الحضاريّ.

بدأت اهتماماته بالكتابة الأدبيّة منذ سنوات دراسته الأولى في العشرينات، فكتب في مجالات المقالة والقصّة والنقد والبحث، كما كتب بعض الشعر. إلى أن أنهى دراسته في عام ١٩٣٨.

عاش حسين حياته في العراق بعد أن تمّ إعطاؤه الجنسيّة العراقيّة بشكل طبيعيّ، ممارساً عمله الثقافيّ والاجتماعيّ كرجل يقترب من الفكر الدينيّ، وناقداً له، لاعتباره أنّ ذلك التاريخ والفكر بحاجة لإعادة تأويل، لما يحتويه من تاريخيّة تراثيّة، وكانت مشكلته الأولى، هي أنّ النظر والتأويل لذلك الفكر كان ينبع بابتعاده عن تاريخيّته، ممّا جعل الفكر العربيّ الإسلاميّ، يعيش تاريخاً ذاتيًّا سكونيًّا، لقطع صلته بجذوره الاجتماعيّة. أي بتاريخه الموضوعيّ.

كان ذلك الهاجس لدى حسين، يجعله بعيداً عن العلاقة مع الواقع في البداية، فبقي ضمن تطوّر بنيته الفكريّة، لكن في عام ١٩٤٨، اطّلع عن طريق، حسين محمّد الشبيبي (أحد مؤسّسي الحزب الشيوعيّ العراقي) على البيان الشيوعيّ، وكان ذلك التاريخ بداية اطلاعه على الفكر الماركسيّ، وبداية انطلاق حسين من التفكير بإطار مجرّد، ليجعل من فكره على علاقة مع الواقع ممّا جعله يعيد صياغة كثير من موضوعات التراث بطريقة نقديّة ماديّة.

انخرط مروة بعد ذلك بالعمل الفكريّ المباشر في الواقع، فشارك أدبيًّا وإعلاميًّا في إحداث الوثبة الوطنيّة العراقيّة عام ١٩٤٨، والتي أسقطت معاهدة بورتسموث البريطانيّة مع حكومة العهد الملكيّ. على أثر ذلك العمل المباشر، وبعد عودة نوري السعيد إلى حكم العراق عام ١٩٤٩، صدر بحقّ حسين مروة قرار إبعاده مع عائلته ونزع الجنسيّة العراقيّة بعد عشرين عاماً من مكوثه فيها. عاد مروة في شتاء عام ١٩٤٩ إلى بيروت حيث واصل عمله بالكتابة الأدبيّة في زاويته اليوميّة «مع القافلة» ضمن جريدة الحياة لمدّة سبع سنوات. في تلك الفترة التي عاد فيها، تعرّف عام ١٩٥٠ إلى مجموعة من قيادات العمل الشيوعيّ، كفرج الله الحلو وأنطون تابت ومحمّد دكروب، ونتج عن هذه العلاقات، تأسيس مجلّة الثقافة الوطنيّة التي أصبح الشيخ حسين مديراً لتحريرها إلى جانب دكروب.

في عام ١٩٥١، انضمّ حسين مروة رسميًّا إلى الحزب الشيوعيّ اللبنانيّ. كما انضمّ إلى قوّات أنصار السلم (تجمعّ الأحزاب الشيوعيّة العربيّة لتحرير فلسطين) عام ١٩٥٢.

كانت تلك الفترة من حياة الدكتور حسين، مليئة بالعمل المباشر نتيجة تطوّر الأوضاع السياسيّة في العالم العربيّ، لما شهدته البلاد من انقلابات وحركات تحرّر، ونهوض للفكر التحرّري، على مستوى الوطن العربي والعالم.

انتخب عام ١٩٦٥ عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعيّ اللبنانيّ وبعدها عضواً في المكتب السياسيّ.

ترأس تحرير مجلّة الطريق الثقافيّة من العام ١٩٦٦ حتّى شباط ١٩٨٧ تاريخ اغتياله.

بالإضافة أنّه كان عضو في مجلس تحرير مجلّة النهج الصادرة عن مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكيّة في العالم العربيّ.

كان وقع اغتيال الدكتور حسين على يد (حزب الله اللبنانيّ) في الشارع الثقافيّ العربيّ والسياسيّ اليساريّ، وقعاً وصدمة هائلة. فلم يكن اغتياله فقط كمناضل تحرّري في العمل السياسيّ، بل كان خسارة حقيقة للفكر العربيّ. ورغم تضارب المعلومات في الجهة التي اغتالته، بين حركة أمل وبين حزب الله، إلا أنّ جميع المؤشّرات كانت تدلّل على تورّط حزب الله بتلك العمليّة.

يقول المفكّر اللبناني مهدي عامل في يوم تأبين مروة: «قتلوك لأنّك شيعيّ وشيوعيّ».

لقد كان حسين مروة وبمحاولة إنتاجه لفكر تراثيٍ جديد في التاريخ الإسلاميّ، يُشكّل تهديداً حقيقيًّا لجميع الحركات الدينيّة المنخرطة في العمل العسكريّ السياسيّ، التي تأخذ مشروعيّتها من جهل الناس بحقيقة تراثهم وفكرهم والوقوف عليه بعمق، فكان حسين يُسلط الضوء في كتاباته على تلك المعضلة البشريّة، والتي إن رأت النور ستجعل الكثير يعيدون النظر بالمفهوم اتجاه ذلك الدين والتعامل معه كصيغة تاريخيّة حضاريّة قبل دخوله بمرحلة الانحطاط والتردّي.

لقد كان اغتيال حسين مروة لحظة إسكات للفكر، قبل السياسة.

كتب الشيخ حسين، إضافة للمقالات والبحوث والزوايا الصحفيّة، كتباً منوّعة ترتكز على ثقافته الدينيّة والماديّة.

خلق مزيجاً متيناً ليُخرج للعالم الثقافيّ العربيّ إحدى التحف القليلة والنقدية في الفكر الإسلاميّ، وهو كتابه «النزعات المادّيّة في الفلسفة العربية الإسلاميّة» الذي أثار منذ صدوره جدلاً واسعاً في الأوساط الثقافيّة العربيّة والغربيّة الاستشراقيّة.

تضمن ذلك المرجع الفكريّ أربعة أجزاء يمكن اختزالها على ذلك النحو: (الجاهليّة، نشأة وصدر الإسلام) الذي اعتمد فيه بمنهج تحليل ماديّ لثقافة ما قبل الإسلام ونشأة وتطوّر الفكر التي دعت إلى تراكمات ثقافيّة صحراويّة بخلق البذرة الأولى لخلق المشروع الثوريّ الإسلاميّ.

الجزء الثاني (المعتزلة، الأشعريّة، المنطق) عالج موضوع علم الكلام عند المعتزلة والأشعريّة، ثمّ علم المنطق الصوريّ الأسطاطاليسي، لكون المعتزلة أوّل من استخدمه.

والجزء الثالث كان (تبلور الفلسفة، التصوّف، إخوان الصفا) وفيه تحدّث الدكتور حسين عن التصوّف وذلك عبر مثاليين محدّدين هما ابن عربيّ والسهروردي، ورسائل إخوان الصفا، وقدّم نبذة عن تطوّر العلوم عند العرب.

وفي الكتاب الرابع (الكنديّ، الفارابيّ، ابن سينا) عالج مرحلة النضج الفلسفيّ في الفكر الإسلاميّ، وما احتواه ذلك الفكر الذي بطريقة تحليل عقلانيّة توصل إلى عمق ماديّته إزاء الفكر الدينيّ.

لقد كان تأثير حسين مروة على محيطه الفكريّ والسياسي كبيراً جدًّا، فلم يتّخذ موقفاً ثقافيًّا انفصاليًّا عن الواقع، مثلما يجري عندما يهتز الواقع نتيجة حراك سياسيّ معين، بل كان فكره ارتباطياً بطريقة ثقافيّة عميقة جعلته هدفاً للقتل. فأفكار الدكتور حسين تجسّدت من خلال شرح مطوّل عن بنية المجتمع العربيّ، وأسباب ظهور الفكر الدينيّ بمناطق وثنيّة، وأسباب الإزدهار التي خضعت لها، والخلافات الأوليّة في البنية الإسلاميّة، وهذا كان أحد الأسباب المهمّة التي دعت حزب الله اللبنانيّ للقيام بعملية اغتياله، لما فيه كشف حقائق عن ذلك التاريخ وأسباب الصراع، في كتابه.

ذلك الفكر الذي لم يتوقّف عند درفتي مؤلّفه النزعات المادّيّة، بل جاء كتطبيق عمليّ لذلك الفكر في تأسيس ومساهمة بمجلّات دوريّة ثقافيّة، وعمل سياسيّ مباشر. كلّ تلك الأمور تضافرت لتؤدّي بحسين مروة إلى الموت اغتيالاً.

ورغم مرور أكثر من ربع قرن على اغتياله، مازال فكر الدكتور حسين يقف شاهداً على لحظات تاريخيّة في البنية العربيّة الإسلاميّة، لما أعاد فيه من نظرة نقديّة ماديّة له، وإعادة تشريح جسمانيّ لذلك التاريخ. ويبقى كتاب النزعات المادّيّة أحد العناصر الثقافية المهمّة التي يمثابة مرجع قويّ وأساسيّ في العصر الحديث.

خالد علّوش

طمس التراث المعتزليّ*

في الإعادة إفادة

هناك واقع تاريخيّ معروف يثير الأسف ويدعو للدهش والتساؤل: هل كان من باب المصادفة أن يكاد لا يمضي سوى عهد قصير منذ غاب المعتزلة عن صعيد النشاط الفكريّ في خلافة المتوكّل العبّاسيّ سنة ٨٤٧ ميلاديّة، حتّى تغيب عن المكتبة العربيّة مصادر الفكر المعتزليّ الأصليّة بجملتها، أي تلك المصادر والوثائق التي وضع فيها المعتزلة أفكارهم وأصولهم النظريّة كما صاغوها هم بأنفسهم بصورتها المتكاملة في مؤلّفاتهم؟.

من العسير أن يقتنع الباحث بأنّ شيئاً من المصادفات التاريخيّة هو الذي أساء هذه الإساءة إلى الغريبة للفكر والعلم والتاريخ، رغم كثرة ما حدث في الفكر العربيّالإسلاميّ من مثل هذه المأساة. ذلك أنّ هذا الأمر حدث في ظروف تختلف كثيراً عن الظروف التي بدأ فيها التراث العقليّ العربيّ الإسلاميّ كلّه يتعرّض للتشتّت والضياع.

فلماذا كان نصيب الفكر المعتزليّ وحده أن يتعرّض لهذه المحنة في مرحلة سابقة بعيدة جدًّا عن تلك الظروف المتأخّرة التي شملت المحنة فيها كلّ التراث؟.

لعلّ الأمور التي عرضنا فيها، خلال الفصلين السابقين، أبرز الملامح التقدّميّة للفكر المعتزليّ، كانت السبب في ما حدث لتراث هذا الفكر من غياب مفاجئ عن المكتبة العربيّة في وقت مبكّر من تاريخ الحركة العقليّة العربيّة.

فقد تألّبت حينذاك عدّة تيّارات فكريّة وسياسيّة محافظة على الفكر المعتزليّ بالعداء الصارخ الذي ظهر بأشكال مختلفة، كان أشدّها عمليّة طمس وثائقة ومصادره بصورة كاملة وشاملة حتّى لم يصل منه للعصور المتأخّرة سوى مصدر واحد هو كتاب «الانتصار» لأبي الحسن الخيّاط، رغم أنّ مؤرّخي الفرق والمذاهب الإسلاميّة يذكرون الكثير من هذه المصادر غير المعروفة لنا حتّى الآن.

إنّ القضاء على تراث الفكر المعتزليّ على ضخامته وخصبه المعروف قد حال بيننا وبين الاطّلاع عليه كاملاً متكاملاً غير مجزّأ وغير مشتت ومتناثر في المصادر غير المعتزلية، وفي المصادر الأشعريّة بخاصّة وهم خصوم ألدّاء للمعتزلة.

ومن هنا لم يكن لنا من سبيل إلى دراسة هذا التراث إلّا تلك المصادر التي قدّمته إلينا أشلاء ممزّقة فاقداً روح التكامل والتلاحم، وبذلك فقد تماسك بناؤه الداخليّ الأصيل، وفقدنا نحن الباحثين إمكان رؤيته في حركته وتطوّره بصورته المركّبة والمنطقيّة التي بها نشا ونما وتطوّر، فكان من العسير علينا إذاً وضع صورة تركيبية له جديدة تتطابق مع منطق بنائه الأصليّ.

وإذا كنّا في الفصلين السابقين قد رأينا شيئاً من التماسك والتناسق في تفكير بعض زعماء هذا المذهب العقليّ، فإنّما كان ذلك بنوع من التلمّس بمتابعة بعض الخطوط الرئيسيّة في مجراها العامّ المحاط بأشكال من التعرّج والتقطّع هنا وهناك.

وفي اعتقادنا أنّ مأساة المعتزلة بتألّب أعدائهم على طمس تراثهم الفكريّ، هي أشدّ قساوة من مأساتهم بتألّب هؤلاء الأعداء على اضطهادهم جسديًّا منذ عهد الخليفة العبّاسيّ المتوكّل. بل الصحيح القول إنّ مأساتهم الأولى هي مأساة للفكر والعلم والتاريخ كذلك.

ولنا أن نتساءل الآن: لماذا كان هذا العداء اللدود للمعتزلة، ولماذا كانت هذه المأساة المزدوجة؟.

المسألة واضحة؛ فإنّ الطابع العقليّ التحرّريّ الذي يغلب على تفكيرهم محتوى وأسلوباً، وهو طابع متقدّم جدًّا بالقياس إلى ظروف عصرهم ومجتمعهم، هو الذي جمع بين مختلف الفرق والمذاهب والفئات الاجتماعيّة المحافظة، لا سيّما الفئات ذات الموقع الاجتماعيّ الأكثر ارتباطاً بمواقع أهل النظام الثيوقراطي لدولة الخلافة. ومن هذه الفئات أهل الحديث والفتيا بالأغلب نقول: إنّ الطابع العقليّ هو الذي جمع هؤلاء على صعيد واحد، رغم كلّ الفوارق بينهم.

نعني: صعيد العداء للفكر المعتزليّ ومناهضة خطّة العقلانيّ التحرّريّ.

صحيح كما قلنا من قبل أنّ مجمل الفكر المعتزليّ لم يخرج من إطار الإيديولوجيّة الإسلاميّة، أي الإطار الجامع بين المعتزلة وخصومهم الأشاعرة. لكن، يجب النظرمع ذلك إلى الجانب المميّز للمعتزلة، إي الجانب الذي قسم أهل هذه الإيديولوجيا الواحدة الجامعة إلى مذهبين اثنين متمايزين معتزلي وأشعريّ، بل مذهبين مختصمين، متعارضين.

*الصفحات ٨٢٨-٨٢٩-٨٢٣٠ من كتاب «النزعات المادّية في الفلسفة العربيّة الإسلاميّة» – القسم الثاني – ١٩٧٨

حسين مروه

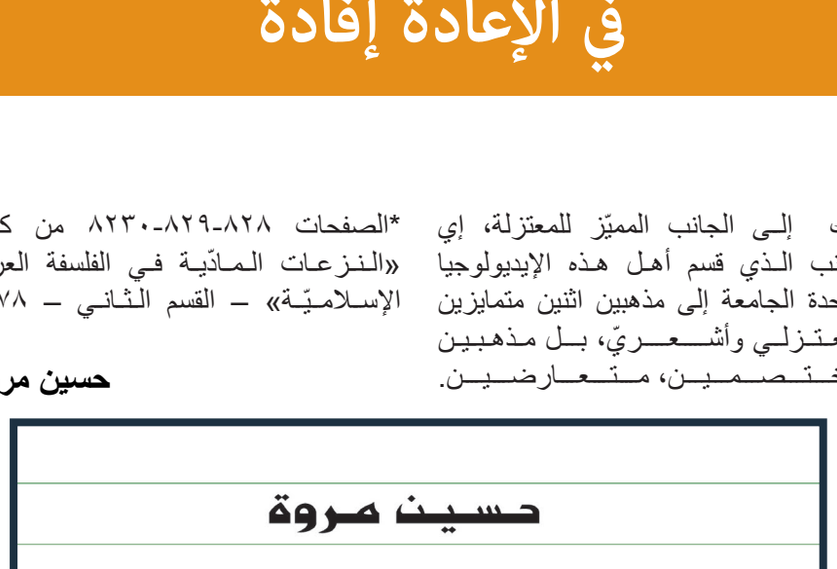

اختراع موريل
هل نعيش وهم الحقيقة؟

ربما لو كنت من الأشخاص المولعين بالميلودراما، لوقفتُ صارخاً عند نهاية ذلك الكتاب: «أجل هذا ما أبحث عنه. كاساريس قذفني نحو صخرة الحقيقة وحطم أضلاعي».

لكني ببساطة لا أملك سوى الإنفعالات الصامتة. لكنها انفعالات لا تقل في جوهرها عن تلك التي تصيب عينيك بالرهبة وجسدك بالذهول.

وحقيقة رغم صغر حجم هذا العمل، لكني لا أستطيع أن أتحدث عن كل تفصيل به، لما يحتويه من رمزية سرد وسيريالية دماغ. وقبل الدخول لغايتنا، سأنتقل لشرح بسيط عن هذا العمل.

بلسان بطل العمل الذي «لا اسم له»، يخبرنا كاساريس بأن بطله قد وصل إلى جزيرة معزولة عن العالم هرباً من حكم ما، عن طريق بائع سجاجيد إيطالي يدعى «دالماسيو أومبريلليري»، وفي تلك الجزيرة الفارغة يوجد متحف ومكتبة وكنيسة.

يعيش حياته بشكل طبيعي إلى أن يستيقظ ذات صباح ويجد بشراً يقطنون الجزيرة.

تتوالى الأسئلة في دماغ بطل كاساريس. من هؤلاء؟ أيمكن أن الشرطة قد أرسلتهم في تتبع أثره؟ هل هو ملاحق؟ كيف يمكن له اكتشاف الحقيقة؟.

ضمن هذه الأسئلة يدخلنا كاساريس في وهم عميق داخل رأس بطله، وما يزيد الحيرة هي وجود عالمين متوازيين (شمسين وقمرين ومكانين يوجدان في مكان واحد).

ينتابك إحساس بالتيه، وتبدأ بطرح الأسئلة على نفسك..

هل البطل مريض نفسي؟ أيتوهم ما يراه؟

أيمكن أن يكون مجنوناً؟ هل ما يشاهده ليس إلا داخل عقله؟.

يحاول بطل كاساريس الاقتراب من الأغراب، لكن لا أحد يستطيع رؤيته، يمرون من جانبه دون اكتراث.

فهل هو شبح؟. أمات قبلاً وأصبح روحاً؟.

تلك الأسئلة المرئية وأنت تقرأ ترفع الأدرينيالين في دمك، تُصيبك بنشوة مضاعفة من الرعب والتوجس. هكذا يصبح القارئ في دوامة حقيقة من الخوف ورغبة اكتشاف ما يجري. يتابع البطل أولئك الأشخاص في اقتفاء أثرهم بحذر. يختبئ منهم. ويكتشف في النهاية من أولئك الأشخاص، ومن هو موريل.

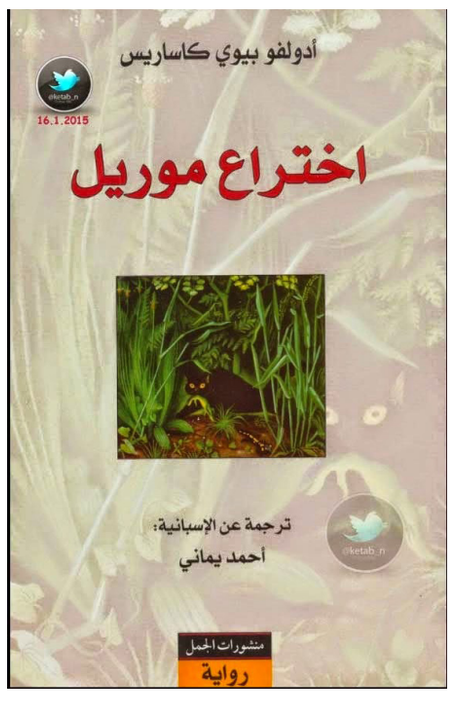

لحظة الاكتشاف تلك تصيبك بالغثيان والخوف. موريل ليس شبحاً، وفوستين الجميلة التي عشقها بطل كاساريس ليست وهماً، وهؤلاء الناس لم ياتوا من عالم آخر، والبطل ليس ميتاً، إنهم فقط صورة قديمة لآلة سجلت الحياة الماضية وتعيد تكرار نفسها بآلة تنشر الصور المتحركة وبإضاءات تحيط الجزيرة، يعيش بطل كاساريس في وهم الصورة، ويكتشف أخيراً سبب عدم إمكانياتهم لرؤيته، وحقيقة حياته الوهمية.

موريل العبقري، اخترع جهازاً يسجل ذلك الأسبوع الذي عاشه بجانب فوستين التي ترفضه، ثم قام بقتل جميع أصدقاءه.

إنه اخترع فكرة تكرار الخلود الذي أراده.

تكرار صورته وصورهم على كامل الجزيرة.

رغم إمكانية تأويل هذا العمل بمئات الطرق المتاحة لما تحمله من رمزية سردية وأفكار عبثية وعلمية سبّاقة، إلا أنّ جانباً ممتعاً يجعلك تقف لتغرق في المتعة المفرطة لجنون ذلك الموريل وهذيان كاساريس.

وبعيداً قليلاً عن فنتازية الفكرة التي طرحها المؤلف، نجد أنفسنا أمام فكرة مغرقة بعبثيتها حقاً، وهي الهواجس التي تنتاب الإنسان في عصر يُحكم فيه بقانون مصطنع.

المنفى لدى البطل كان الحل ليحيا بطريقة أخرى، حياة بعيدة عن محاكمته، لكنه ليس وحيداً. تلك اللحظة التي تصيب القلب بالخوف.

كيف يمكن الغرق بالتفكير لإنقاذ النفس من هواجس الرعب والملاحقة؟. يسرد كاساريس كل لحظات الهوس التي تصيب بطله، ومحاولة التفكير العميق لاكتشاف من هو بعد الدخول في دوامة من الشك اتجاه نفسه، هل يمكن للعلم أن يُدخلنا في هذه المتاهة الريبية قبل اكتشافها؟.

وكيف يمكن أن تصبح حياتنا بعد اكتشاف ذلك الشيء الذي قد يغيّر مجرى حيواتنا؟.

في عالم الصورة التي صنعها موريل، وقبل اكتشاف البطل للحقيقة، يشاهد البطل فوستين الجميلة، تلك الفتاة التي يحاول موريل التقرب منها. يعشق بطل كاساريس فوستين، يعشق الصورة التي ألفها موريل، لكن فوستين لا بد أنها ماتت منذ زمن بعيد، مثل الجميع. إنّ خلود فوستين أصبح كارثة على البطل. صورة خالدة، وعشق صورة قبل اكتشاف وهمها.

يطرح كاساريس مسألة عبث الإنسان اتجاه وعيه، عبثية ثنائية. فالإنسان يحيا العالم بحواسه وليس بأفكاره، وما أثبته أنّ عشق البطل لفوستين كان وهماً وحقيقة بآن معاً.

البطل يعشق فوستين ويحقد على موريل، تغيرت حياته وأصبح لا يستطيع الاستمرار إلا بما شعره حسياً. اكتشاف عبقرية موريل واختراعه لتكرار الصور، أصاب قلب البطل بمقتل لا شفاء منه. تلك التراجيدية التي لا تحطم القلب، بل العقل أيضاً.

كم هو مستوى أنانية موريل اتجاه العالم؟ كيف أراد تخليد صورته مع فوستين دون تفكير بأن رجلاً قد يعيش مستقبلاً بوهم الصورة. وكان بطل كاساريس هو الضحية.

العلم هو وهم الحقيقة.

فأن تعيش في عالم حقيقي وتظنه وهماً ثم تكتشف أنه حقيقي قديم، وأنك تعيش تلك الحقيقة القديمة والوهم الحالي، لكنك لم تعد تملك سوى أن تحياه بالوهم الذي أنت عليه، لأنه ببساطة إدراكك للعالم يقوم على حواسك وليس دماغك بمجرداته. أن تعيش تلك التجربة بكل أبعادها، لن تصنع منك شخصاً مختلفاً فحسب، بل لن تُعيدك إلى ما كنت عليه.

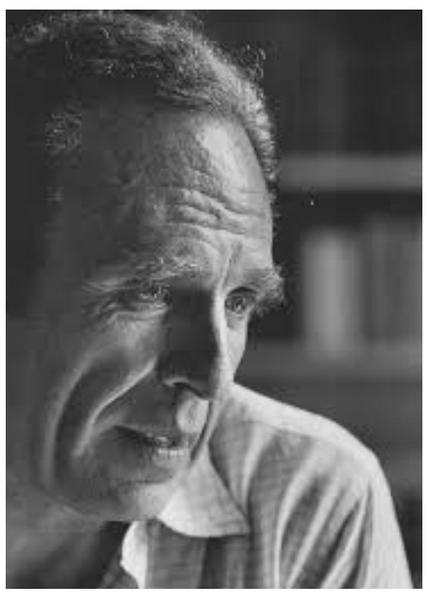

موريل أراد الخلود بطريقته، لكن الخلود ببساطة هو ألم عبقري عندما تدرك أن حقيقة ذلك الخلود هي وهم أزلي.

عندما تدرك ذلك الوهم بشكل مادي ومباشر.

اختراع موريل تحفة مثيرة لم ينتبه لها الكثير، ربما من استحالة فكرتها، لكنها صورة إنسانية ومغرقة بالتراجيديا. ويبقى السؤال الأهم..

هل نحن أبطال مثل بطل كاساريس ونعيش وهم الحقيقة؟. وهل نعيش حقاً في آلة موريل؟.

علاء الدين أحمد

ناجي العلي
ريشة اغتالها كاتم الصوت

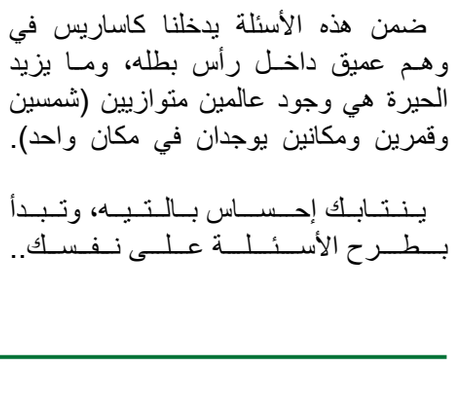

في عام ١٩٣٩ وفي قرية الشجرة في فلسطين الواقعة بين طبريا والناصرة، أبصرت عينا الطفل ناجي العلي النور، لا نعرف ما كان دافع والديه لتسميته «ناجي» مع أنّه بعد ولادته بسبع سنين لا أكثر لم ينجُ من التهجير مع عائلته على أيدي العصابات الصهيونيّة، وبعدها بأقلّ من خمسين عاماً وفي عام ١٩٨٧م لم ينجُ أيضاً من رصاصة حاقدة اغتالته في أحد شوارع لندن.

ربّما كان الناجي الوحيد في رحلة عمره القصيرة هو فنّه ولوحات الكاريكاتير التي رسمها وفضح خلالها كلّ الأنظمة العربيّة دون استثناء بدءاً بالبيت الفلسطينيّ الداخليّ مروراً بأصحاب الجلالة والفخامة وكل كاراكوزات المشهد السياسيّ العربيّ.

بعد تهجيره من فلسطين استقرّ مع عائلته في مخيّم عين الحلوة، وذاق مرارة الاعتقال لأوّل مرّة وهو صبيّ في العاشرة من عمره لنشاطاته المعادية للاحتلال، وبعدها قام الجيش اللبنانيّ باعتقاله لأكثر من مرّة.

وحسب ما تذكر سيرته كانت أولى رسوماته خربشات على حيطان الزنازين التي مرّ فيها، حتّى اكتشف أهمّيّة رسوماته الأديب الفلسطينيّ غسان كنفانيّ وقام بنشر أولى لوحاته في مجلّة «الحرية» في ٢٥ سبتمبر ١٩٦١.

لم يكن تعامل ناجي العلي مع فنّ الكاريكاتير كمصدر للرزق، أو بحثاً عن متعة فنّيّة وحسب، بل كان مشروعاً فنّيًّا نضاليًّا حاول من خلاله أن يقول كلمته عبر الفنّ، أن يرفع من الريشة سلاحاً في وجه الطغاة واللاعبين بمصير الشعوب والكاذبين المدّعين المتنكّرين بزيّ الثوّار والمدافعين عن مصالح الفئات الشعبيّة، لذا جاءت لوحاته منحازة بشكل كلّيّ إلى الفقراء والشرفاء ومهاجمة وفاضحة كلّ الحكام وأشباههم من الساسة والزعماء، حتّى أنّه بات مكروهاً من الجميع وملاحقاً منهم أيضاً، لا يسكن في بلد لمدّة إلّا ويضطرّ بعدها للرحيل عنها.

تمتاز أعمال ناجي العلي بالخطوط البسيطة والواضحة، معتمداً على اللون الأسود مضافاً إلى بياض الصفحة، مستعملاً تيمات وشخصيّات مكرّرة، تتصدّرها شخصيّة فاطمة الجميلة الشامخة التي تمثّل الأمّ الفلسطينيّة/ العربيّة الطيّبة بوجهها الحزين وجسدها الناحل الطويل، والتي رمز بها للمرأة الفلسطينيّة العربيّة المناضلة وعطائها وصلابتها، ومشاركتها الفاعلة في الأحداث ومشاركتها الإيجابيّة في الحوارات والمواقف.

وشخصيّة الرجل متعدّد الأسماء، نحيل الجسم، حافي قدمين، طويل القامة، مرقّع الثياب، حافي القدمين ذو وجه مهموم ومعذّب، يرمز للرجل العربيّ الفقير البسيط الطيّب المكافح الذي لا يجيد اللفّ والدوران ولا يعرف الكذب والتملّق.. يكره الطائفيّة والمذهبيّة، وهو الشهيد في العديد من اللوحات، والذي يتمّ اغتياله بسبب الشعارات الوطنيّة والقوميّة التي يكتبها ويصرخ بها.

وعلى الطرف النقيض نجد شخصيّات سماسرة القضيّة، والتي تمثّل البعد السياسيّ والحاكم والتاجر والانتهازي والمستغِّل، وقد رسمها شخصيّات متكرّشة مترهّلة، مسطّحة الملامح، ترتدي الطقم الغربيّ وربطة العنق والبرنيطة، تشرب الخمر والسيجار، بلا رقبة ولا أقدام، غبيّة، خالية من معاني الإدراك والوعي، جشعة، ورمز بها لكلّ ما هو متعفّن في حياتنا العربيّة.

وشخصيّة أبي باصم الجشع الطمّاع صاحب الأموال المتنقّل بين الدول الأوروبّيّة والولايات الأمريكيّة للاستجمام، يلبس ربطة العنق والطقم الغربيّ ويعيش في الفنادق الفخمة، هو نموذج المنسلخ عن وطنيّته وأهله وشعبه وقضيّته، وكذلك شخصيّة زوجة المقاول، التي تصنّف نفسها من سيّدات المجتمع الراقي، أيضاً هي متكرّشة، لا تلبس المنديل، وتقصّ شعرها وتصفّفه وفق الموضة، وتلبس على الموضة آلميني جوب والأحذية ذات الكعب العالي، وتتزيّن بالخواتم والعقود والأسوار الذهبيّة وتشرب الخمر، وتدخّن التبغ.

رمز الجشع والطمع والانحلال والتفسّخ.

أمّا شخصيّة حنظلة التي ابتدعها ناجي العلي، وتمثّل صبيًّا صغيراً يعقد يديه وراء ظهره، فقد تحوّل ليكون الشخصيّة الرئيسيّة في كلّ أعماله، وتحوّل ليكون بمثابة توقيع شخصيّ على اللوحة، وليكون الشاهد المراقب لكلّ ما يجري من أحداث، هذه الشخصيّة وُلدت في عام ١٩٦٩ في جريدة السياسة الكويتيّة، وأصبحت بمثابة رمز للفلسطينيّ المعذّب والقويّ رغم كلّ الصعاب التي تواجهه فهو شاهد صادق على الأحداث ولا يخشى أحداً.

وعن حنظلة يقول ناجي: «ولد حنظلة في العاشرة في عمره وسيظل دائماً في العاشرة من عمره، ففي تلك السنّ غادر فلسطين وحين يعود حنظلة إلى فلسطين سيكون بعد في العاشرة ثمّ يبدأ في الكبر، فقوانين الطبيعة لا تنطبق عليه لأنّه استثناء، كما هو فقدان الوطن استثناء». وأمّا عن سبب تكتيف يديه فيقول: «كتّفته بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ لأنّ المنطقة كانت تشهد عمليّة تطويع وتطبيع شاملة، وهنا كان تكتيف الطفل دلالة على رفضه المشاركة في حلول التسوية الأمريكيّة في المنطقة، فهو ثائر وليس مطبّع.»

لذلك اخترق كلّ الخطوط الحمراء، ولم يقبل أدنى مساومة، ولم يخضع لأيّ ابتزاز، كان صوت الحقّ، وريشة العدل، أراد إظهار الحقيقة ووضعها في مكان تلك المزيفة.

كانت مهمّة الكاريكاتور لديه تعرية الحياة بكلّ ما تعني الكلمة، يقبض على الحياة أينما وجدها لينقلها إلى أسطح الدنيا، حيث لا مجال لترميم فجواتها ولا مجال لتستير عوراتها، آمن أنّ مهمّة الكاريكاتور تبشيريّة بالأمل بالثورة، وبولادة إنسان جديد.

عمران دالاتي

الزاوية الرياضية..

وداعا جهاد قصّاب

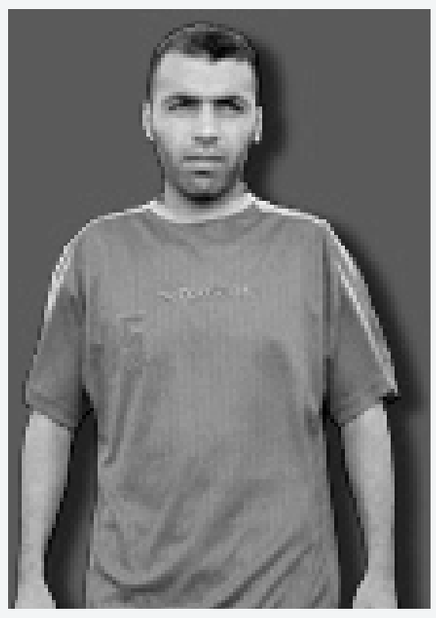

من الصعب والمؤلم أن تكتب بقلمك لأكثر من مرّة وفي أكثر من مناسبة قضيّة أحد المعتقلين في السجون السوريّة المظلمة، وتختم مقالك دائماً بـ (الحرّيّة للمعتقلين) ثـمّ تستيقظ فـي أحـد الأيّـام لتجد قلمك ينتظرك بشغف لتكتب (وداعاً أيّها البطل).

مـن الصعب والمؤلم أكثر أن تحلم بـأنّ المعتقل سيعود إلـى الـحـرّيّـة، لتلتقي به مجدّدا وتكتب عنه حرًّا طليقاً بين إخوته وبين أحبابه ليحدّثك عن أيّام السجن التي كنت تـدوّن عنها (أيّـام الصبر والبطولة).

رحل جهاد قصّاب .. الشهيد الرياضيّ الجديد .. اللاعب الدوليّ في كرة القدم، ابن نادي الكرامة الحمصيّ، والمدافع الشهير في منتخبات سورية الوطنيّة، الشابّ المشاكس الطيّب، المحبّ لزملائه والوفيّ لقميص نـاديـه، الـوفـيّ والجدير لحمل شـارة قائد الفريق (الكابتن) لأكثر من سنة في ناديه محلّقا معه في البطولات الآسيويّة باسم سورية.

لقد استطاع النظام الـسـوريّ المجرم أن يعتقل ويغيّب جهاد قصّاب لأكثر من عامين في سجونه المخيفة والمظلمة، إلّا أنّ نبض جهاد الحرّ أزعج النظام أكثر من اللازم، فكانت الفاجعة، وكـان استشهاد صاحب القلب الأبيض والقلب الحرّ تحت التعذيب.

التعذيب، هو (الفنّ) الذي يتقنه أمن النظام المجرم، منذ بدء الثورة السوريّة وما قبل الثورة بعشرات السنين، مبدع في إجرامه وفـي إنهاء حياة كـلّ من يقف في وجهه دون أيّ اعتبار، ودون الوقوف عند أيّة حالة استثنائيّة، بإجرامه المرير لا يعرف الاستثناء، لأنّ الاجـرام ضمن حياة النظام المجرم قاعدة لا يمكن له أن يتخلّى عنها. من الصعب أن تنتظر الكابتن السوريّ البطل ليخرج إلى الحرّيّة، فتعلم أنّ روحه الطيّبة قد رافقت إياد العاقل وزكريا اليوسف وسالم حجازي وأحمد سويدان وسمير الأطـرش إلـى السماء، ويعود اسـم جهاد إلـى وثائق الشهداء التي تكبر وتكبر بالأرقام والذكريات.

وداعـــــاً.. أيّـهـا الـلاعـب الـسـوريّ الـشـهـم! .. وداعـــاً جـهـاد قـصّـاب!

عروة قنواتي

رئيس «بايرن ميونيخ» السابق يقلّل من الخسارة أمام أتلتيكو مدريد

قلّل أولي هونيس، رئيس نادي بايرن ميونيخ الألمانيّ السابق، من وقع الهزيمة التي تلقّاها الفريق البافاري أمام أتلتيكو مدريد الإسبانيّ، ضمن منافسات دور المجموعات بدوري أبطال أوروبّا، وقال هونيس، في تصريحات أبرزتها صحيفة «سبورت» الألمانيّة، اليوم، السبت: «لا أعتقد أنّ بإمكاننا الفوز في جميع مباريات هذا الموسم، لا أرى الوضع مأسويًّا بعد الهزيمة من أتلتيكو مدريد».

وأضاف مهاجم بايرن وألمانيا سابقاً: «أتلتيكو مدريد فريق قوي، بدليل أنّه وصل إلى نهائي دوريّ أبطال أوروبا مرّتين في آخر ٣ سنوات»، خسر بايرن بنتيجة ٠-١ على ملعب الفريق المدريدي، الأربعاء الماضي، ضمن الجولة الثانية من دور المجموعات من البطولة القارّيّة.

وتـطـرّق هونيس للحديث عـن لايبزيج، الصاعد حديثاً للبوندسليجا، والذي يقدّم نتائج ملفتة، قائلاً: «قلت دائماً إنّ أيّ فريق يتأهّل لـدوري الـدرجـة الأولـى الألـمـانـيّ يحصل على احترامي، وهذا ينطبق على لايبزيج».

ويحتلّ لايبزيج المركز الثّالث في جدول ترتيب الدوري الألمانيّ مؤقّتا، متخلّفا بفارق الأهداف عن بوروسيا دورتموند، صاحب المركز الثاني، والـذي يلعب اليـوم أمـام باير ليفركوزن، وبثلاث نقاط عن بايرن ميونيخ المـتـصـدّر، الـذي يـواجـه كولن.

واعترف كارلو أنشيلوتي، المدير الفنّي لبايرن ميونيخ الألـمـانـيّ، بـأنّ فريقه لم يقم بواجبه بشكل جيّد أمـام أتلتيكو مدريد الإسبانيّ، في المباراة التي انتهت بفوز الأخير ١-٠، ضمن منافسات دوري أبطال أوروبّا، وقال أنشيلوتي في المؤتمر الصحفيّ الخاصّ بمباراة كولن السبت الفائت، ضمن منافسات الدوري الألمانيّ «لم نلعب جيِّدا، لم نلعب كما نريد وهذه هي النقطة الأهمّ». وأضـاف المدرّب الإيطاليّ: «لم يكن لدينا توازن في وسط الملعب أمام الفريق الإسبانيّ.

لسنا الفريق الوحيد بالعالم الذي وجد صعوبة في ملعب فيسنتي كالديرون». وتابع «نقدّم مستويات ممتازة باستثناء لقاء أتلتيكو مدريد.

علينا المواصلة بثقة، لا أحد سعيد بالخسارة ولكن علينا الاستمرار وإظـهـار قوّتنا».

وخـتـم أنـشـيـلـوتـي حـديـثـه بـقـولـه: «الـــمـــبـــاراة انـــتـــهـــت.

نحن الآن نـركّـز على لـقـاء كـولـن لأنّـه فـريـق مـمـتـاز، سنقوم ببعض التغيرات غـدًا لكي نحصل على فـريـق جـاهـز».

عالمي – وكالات

اتّحاد كرة القدم يجتمع بأندية الدرجة الأولى والثانية في إدلب

اتّـحـاد كـرة الـقـدم يـجـتـمـع بـأنـديـة الـدرجـة الأولـى والـثـانـيـة فـي إدلـب

عقد الاتّحاد السوريّ الحرّ بكرة القدم اجتماعاً مع مندوبي أندية الدرجتين الأولى والثانية وذلك مساء يومي الأحد و الإثنين ١و ٢ ت١، برئاسة الأستاذ نـادر الأطـرش نائب رئيس الاتّحاد، وحضور الحكم الدوليّ وائل جبارة الأمين العام للاتّحاد، واللاعب الدوليّ يوسف ربيع حسن رئيس لجنة المدرّبين، والكابتن أنس الحسين رئيس لجنة المسابقات.

وقد تناول الاجتماع إقرار لائحتي المسابقات والانضباط الصادرة عن الاتّحاد السوريّ الحرّ لكرة القدم، والتحضيرات الجارية للبدء بانطلاق الـدوري، وقد قام الاتّحاد السوريّ وبجهود مباركة من الهيئة العامّة للشباب والرياضة بتأمين دعم كامل للدوري تمثّل بحقيبة رياضيّة للاعبين، إضافة للمدرّب والإداريّ، وأجـور تحكيم المباريات والتنقّل للفرق.

وكان الاتّحاد السوريّ لكرة القدم قد أصدر بلاغاً بتاريخ يوم السبت ٢٤ أيلول لعام ٢٠١٦، بقضي بإيقاف جميع المباريات الوديّة والرسميّة في سوريا الحرّة لمدّة ستّة أيّام، وذلك «تضامناً مع أهلنا فسي مدينة حلب الصامدة، التي يفوح العطر من دماء أطفالها، وعلى أرواح شهداء ثورتنا الأبطال، التي تزهر شقائق النعمان من تراب دمائهم» بحسب البلاغ الصادر.

دورة «كلّنا حلب» الكرويّة تنطلق الجمعة في الأتارب

تنطلق الجمعة القادم في مدينة الأتارب بريف حلب الغربيّ، فعاليّات بطولة «كلّنا حلب» الكرويّة بمشاركة ١٦ فريقاً من قرى بلدة الأتـارب والمناطق المحيطة بها، بإشراف الاتّـحـاد الـسـوريّ لكرة الـقـدم، وبالتعاون مع لجنة الرياضة والشباب في الأتـارب في الفترة مابين ١٧الـى ٢٥ /١٠ /٢٠١٦ وتأتي هذه البطولة بحسب اللجنة المنظّمة، دعماً إعلاميًّا ومعنويًّا لصمود الثوّار في أحياء حلب الشرقيّة المحاصرة، والتي تعاني من القصف الهمجيّ والقتل اليوميّ بفعل طيران النظام السوريّ المجرم والطيران الروسيّ المعادي.

الأستاذ عبد الوهاب العبيان، رئيس لجنة الرياضة والشباب في بلدة الأتـارب، تحدّث لـ «كلّنا سوريّون» عن هذه البطولة بقوله: البطولة تأتي ضمن ظـروف صعبة نمرّ بها في المدينة والريف، ولكن إرادة الحياة والـصـمـود والـتـحّـدي، أقـوى لدينا ولـدى كـلّ الرياضيّين، بعض الفرق لا تستطيع المشاركة بسبب عدم قدرتها على تكاليف التنقل والاشتراك بسبب نقص الدعم الماديّ، والملعب ترابيّ يحتاج إلى تسهيل الأرض ودحلـهـا ولكنّنا مـصـرّون أن لا نترك الرياضة والعمل من أجل شبابنا وأطفالنا.

وجاء تقسيم الفرق المشاركة على ٤ مجموعات: ضمت الأولى: فريق الأتارب، فريق النجوم، فريق أهلي كـفـرنـوران، فريق الكرامة.

المجموعة الثانية: فريق الأمـجـاد، عطاء بـاتـبـو، فـريـق كـتـيـان، فـريـق الـنـسـور.

الـمـجـمـوعـة الـثـالـثـة: أهـلـى الأتـــارب، الـــــوداد، الـفـتـيـان، الـشـهـبـاء.

المجموعة الرابعة:الجينة، تـلّ الكرامة، شباب الريف الجنوبي، شباب الأتـارب. وسبق للجنة الرياضة والشباب في الأتارب أن نظّمت العديد من المسابقات الكرويّة والنشاطات الودّيّة للفرق في المنطقة، وقد لاقت استحساناً كبيراً، ومتابعة وتنظيم فرق وأندية جديدة.

افتتاح حافل لدورة الشهيد أسعد طعمة الكرويّة في إدلب

بحضور الأستاذ نادر الأطرش نائب رئيس الاتّحاد السوريّ لكرة القدم والأستاذ محمّد وائل جبارة أمين سرّ الاتّحاد الكرويّ والأستاذ محمّد خالد سويد رئيس مكتب إدلب في رابطة المحامين السوريّين الأحرار والدكتور علي السلطان عضو مجلس محافظة إدلب الحرّة، واستعدادا لبطولة الـدوري العام لكرة القدم في محافظة إدلب، افتُتحت ظهيرة اليوم على أرض ملعب النعمان الصناعيّ دورة الشهيد أسعد طعمة الكرويّة بالمباراة الافتتاحيّة بين نـادي النعمان ونـادي خـان شيخون.

انتهى اللقاء بفوز نـادي معرة النعمان بنتيجة ٣- ١ وتـعـادل نـادي الأمـل مع نـادي حيش بنتيجة هدفين لـكـلّ منهما.

الأستاذ نادر الأطـرش نائب رئيس الاتّحاد السوريّ لكرة القدم تحدّث قائلاً: أنا معجب جـدًّا بـأسـلـوب التنظيم الـمـتـزن للبطولة والاستعدادات التي سبقت البطولة بالرغم من اليوم الماضي كان يحمل غـارات بالقذائف العنقوديّة على مدينة المعرّة إلّا أنّ أبنائها الرياضيّين كانوا اليوم على الموعد وكان الملعب في أبهى حلّة خلال الافتتاح، ما لفت نظري هو وجود رعاية للفرق على القمصان والألبسة وعلى اللوحات الإعلانيّة حول الملعب وهذا إنّ دلّ على شيء فإنّما يدلّ على الثقة المتبادلة بين المؤسّسات الإعلاميّة وبين منظّمات المجتمع المدنيّ وبين الأندية السوريّة الحرّة، ما يعيد إلينا الشكل الحقيقي للملاعب الكرويّة في المباريات الرسميّة.

وتحدّث السيّد أحمد حلّوم رئيس نادي معرّة النعمان أيضاً: تأتي دورة الشهيد أسعد طعمة الكرويّة لتعزيز صمود أهلنا في الداخل السوريّ وخصوصاً في محافظة إدلب التي عاد إليها الألق الرياضيّ، وعادت المنافسة في البطولات الكرويّة والرياضيّة منذ عام كامل، وبعد نجاح سلسلة من البطولات في معرّة النعمان استطاعت إدارة النادي أن تحصل على عقد رعاية لفريق الرجال بكرة القدم من محطّة تلفزيون (الآن) وهذا يـدلّ على أنّنا نمشي في الطريق الصحيح استعداداً للبطولات الرسميّة في محافظة إدلب بإشراف الاتّحاد السوريّ لكرة القدم والهيئة العامّة للرياضة والشباب في سورية.

حضر المباراة روؤسـاء وأعضاء مجالس أندية رياضيّة في محافظة إدلب، وحضر عدد كبير من الإعلاميّين من وسائل إعلام مختلفة.

وضمن مباريات اليوم الثاني فاز نادي أميّة العريق على نـادي مـورك من ريف حماة، بنتيجة كبيرة وصلت إلى سبعة أهداف مقابل لا شيء، فيما ساد التعادل الإيجابي المباراة الثانية بين التضامن وكفرومة بهدفين لكلّ فريق.

أمّا مباراة الاثنين الماضي بين معرّتمصرين وناشئي النعمان (الممثّل عن رابطة المحامين الأحرار) انتهت بفوز معرتمصرين ٦-١.

ويشارك في البطولة ١٢ فريقاً وُزّعوا على ثلاث مجموعات، ضمّت المجموعة الأولى (رجال النعمان - وخان شيخون وحيش - والأمل) والمجموعة الثانية (أميّة - كفرّومة - والتضامن - ومـورك بـدلاً من أريحـا) والمجموعة الثالثة (رابـطـة المحامين ممثّل بفريق ناشئين النعمان - وسراقب - وكـفـرنـبـل - ومـعـرّتـمـصـريـن).

ويستمرّ الـدور الأوّل حتّـى ٩ – ١٠-٢٠١٦ كـلّ يـوم مـبـاراتـان، يتأهّل الأوّل والـثـانـي مـن كـلّ مـجـمـوعـة وأفـضـل ثالثين، وباقي الأدوار بخروج المغلوب.

فرقة بالميرا وحفل في سويسرا

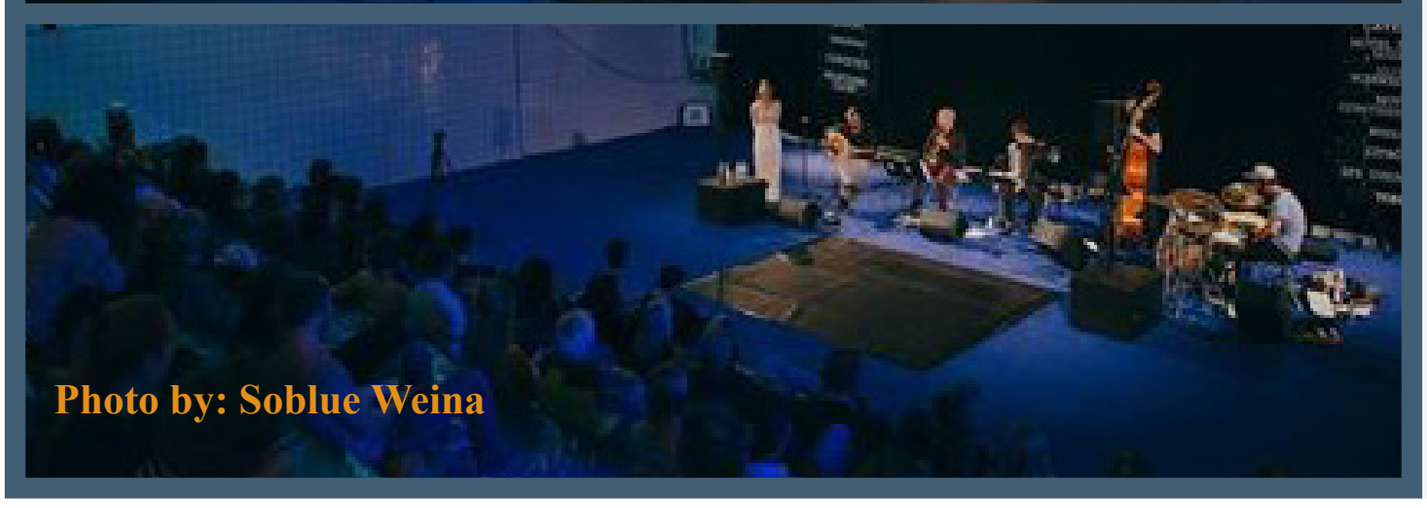

قالت لي مسؤولة السوسيال السويسرية: أشك بأن نصف الشعب السوري فنانون وكتّاب! قلت لها: الشعب المقهور لا متنفس لديه سوى الفن.

تأكيداً لما قالته مسؤولة السوسيال، شارك ثلاثة من الفنانين السوريين حديثي الإقامة في سويسرا في مهرجان عالمي نظمته مؤسسة VIVA CON AGUA في مدينة لوتسيرن السويسرية تحت شعار «الماء لأجل الجميع» والذي يهدف للتبرع بعائدات المهرجان لمناطق حول العالم تشكو قلة المياه.

عرض المهرجان لوحات فنية لخمسين فناناً من جنسيات مختلفة في صالة GALERIE GEÖFFNET جاء اختيار اللوحات تحت عنوان «رؤية جديدة NEUSICHT» من بينهم رسامان سوريان، سلام أحمد من حلب، ودلدار فلمز من القامشلي، كما شارك المؤلف الموسيقي، عازف العود السوري بحر غازي وفرقة «بالميرا».

تخرّج «بحر غازي» الشاب السوري ابن درعا من بيت العود في القاهرة في عام ٢٠٠٩، على الفور عيّن كأستاذ أول، بعد أحداث الثورة المصرية وانطلاق الثورة السورية قرر الهجرة إلى سويسرا، حيث بدأ مشواره مع الموسيقى كتلميذ جديد، انخرط بمشاريع وألوان موسيقية مختلفة أغنت خبرته.

سطع حضوره الفني في سويسرا بسرعة، حيث شارك العزف برفقة المغني السويسري «جان مارك برياند»، دفعه الطموح الفني ليؤسس في عام ٢٠١٥ فرقة باسم «بالميرا» وأخذ يجوب بفرقته الموسيقية مسارح المدن السويسرية والسويدية، حتى كسب لقب «عود سويسرا «. كان لفرقة بالميرا موعد مع جمهور مدينة لوتسيرن السويسرية، تفاعل الجمهور بإصغائه الرصين للمقاطع الموسيقية المستوحاة من الروح السورية عبر التاريخ، رافقت العزف لوحات راقصة قدمتها النجمة السويسرية «شيلا رونا» فنالت الفرقة بمجموع أعضائها تصفيقاً حاراً وطويلاً لجمال ورقي أدائهم.

كانت ليلة سورية عالية الروح حسب انطباعات الجمهور السويسري، الذين أعلنوا عن سعادتهم الكبيرة بالتعرف على هذا الإرث الغني بالجمال.

محمد جيجك

نسور لإسقاط الطائرات

تعتزم هولندا استخدام وحدة من النسور الجارحة في مواجهة خطر تحليق الطائرات دون طيّار في المناطق الحسّاسة، في خطوة هي الأولى من نوعها في العالم.
وسيجرى تدريب ١٠٠ من ضبّاط الشرطة على العمل مع النسور، ومن المتوقّع أن تدخل «الفرقة الطائرة» من الطيور الجارحة الخدمة بداية الصيف المقبل.

النوم يساعد على التذكّر

وجدت دراسة حديثة في بريطانيا أنّ النوم يساعد الدماغ على إبقاء الخبرات التي يهتمّ بها الإنسان بالذاكرة طويلة المدى.
وخلال الدارسة تعلّم ثمانون مشاركاً - لا يتحدّثون لغة ويلز- كلمات ويلزية، ونام بعضهم عقب ذلك.
وأظهر مَن ناموا قدرة أكبر على تعلّم الكلمات، وكانت تلك القدرة أكبر مع من اهتمّ
بالكلمات لأسباب شخصيّة.

نهاية الأب والأمّ؟

قال علماء إنّ تجارب أوّليّة تشير إلى احتمال تكوين أجنّة بشريّة يوما ما في المستقبل بدون حاجة إلى بويضات.
ونجحوا في توليد فأر بصحّة جيّدة عن طريق خداع حيوانات منويّة وجعلها تعتقد أنّها تُجري تخصيباً لبويضات طبيعيّة.
وفي الوقت الراهن، تساعد الدراسة فقط في تفسير بعض تفاصيل عمليّة الإخصاب.

حظر خروج لوحة بـ ٣٥٠ ألف دولار

قرّرت محكمة في أستراليا منع خروج لوحة «المطعم» التي رسمها الفنّان الأسترالي هيربرت عام ١٩٤٤، وحظر قرار المحكمة نقلها إلى إنجلترا لأهمّيتها الوطنيّة. وأهمّ ما يظهر فيها جنود أمريكيّون ومواطنون محلّيّون في مطعم الوجبات السريعة.
وكان المالك قد اشترى لوحته في مزاد في ملبورن العام الماضي مقابل ٣٥٠ ألف دولار أمريكي.

سامسونج، استبدال بشكل عاجل

حثّت شركة سامسونج مالكي هواتفها المحمولة «غالاكسي نوت ٧» على التوقّف عن استخدامها أو المبادرة باستبدالها بسبب المخاطر من انفجارها.
واستدعت سامسونغ ٢,٥ مليون جهاز هاتف بعد ظهور تقارير تفيد بإمكانيّة انفجار هذه الهواتف خلال شحنها أو بعد هذه العمليّة.
وقالت شركة إنّها قرّرت استبدال جميع هذه الهواتف بدءاً من ١٩ أيلول.

الجائزة الأولى في فينيسا 2016 للأسود والأبيض

فاز الفيلم الفلبّيني «المرأة التي غادرت»، وهو فيلم درامي مصوّر بالأسود والأبيض أخرجه لاف دياز، بالجائزة الذهبيّة باعتباره أفضل الأفلام المشاركة في مهرجان فينيسيا للأفلام السينمائيّة.
ويروي الفيلم قصّة عطش مدرسة للانتقام وميلها للغفران بعد أن قضت ٣٠ سنة في السجن لجريمة لم تقترفها.

رئيس التحرير: بسام يوسف
مدير التحرير: بشّار فستق
المحرر التنفيذي: حسين برو
الاخراج الفني: مازن عودة
هيئة التحرير: غزوان قرنفل - ثائر موسى - عزّة البحرة
العلاقات العامة: نور العبدالله
الصفحة الرياضية: عروة قنواتي
الموقع الإلكتروني: محمد الشبلي
عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع
الآراء الواردة في كلّنا سوريّون تعبّر عن رأي الكاتب و لا تعبّر بالضرورة عن رأي الصحيفة